مفهوم التعايش في الإسلام

بقلم

الدكتور عباس الجراري

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1417 هـ / 1996 م

التصفيف والتوضيب بالإيسيسكو

رقم الإيداع القانوني : 1996/870

ردمك : 9981-26-060-6

السحب : مطبعة ديديكو

سلا - المملكة المغربية

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الإسلام - وهو رسالة الله إلى الناس كافة - دين سمح يحثّ على التعاون في مجالات الخير بين البشر جميعا، ويدعو إلى التعايش والتعارف والتآلف بين الشعوب قاطبة، مهما يكن من اختلاف بينها في الألوان والثقافات، يقول الله في كتابه العزيز : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾، ويقول تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾.

وإن التعرّف على ثقافات الأمم الأخرى، أمرٌ ضروريٌ، خاصة في عصرنا الحاضر الذي وإن كادت فيه الحدود الفاصلة بين الشعوب أن تتلاشى، فإن رسالة السماء الخاتمة الموجّهة إلى الناس كافة، تظل محجوبةً عن فهم الكثيرين من غير المسلمين، بسبب قصور فهمهم للإسلام ديناً وتاريخاً وثقافةً، وربما التبس فَهْمُ بعض جوانبها لدى بعض المسلمين أيضاً، بسبب عدم تعمقهم بالقدر الكافي في دراستها، واعتمادهم على ظاهر بعض النصوص بمفردها، مجردةً عن مناسبات ورودها، ودون النظر إلى المحاور التي تربط بينها وبين روح الشريعة الغراء ومقاصدها السامية.

وفي سبيل تسهيل تعريف شعوب العالم بالثقافة الإسلامية، تقدّم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة هذه الدراسة عن "مفهوم التعايش في الإسلام" التي كتبها الدكتور عباس الجراري الأستاذ بجامعة محمد الخامس في الرباط بالمملكة المغربية، مساهمةً منها

في التقريب بين الثقافات، وفي تصحيح بعض الأفكار الخاطئة عن الإسلام الذي يتعرض اليوم لمحاولات تشويه صورته المشرقة في محافل شتى.

والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إذ تشكر المؤلف على المجهود الطيب الذي بذله في إعداد هذه الدراسة، فإنه يسعدها أن تنشرها وتقدمها إلى جمهور الباحثين والدارسين في مختلف البلاد، وذلك ضمن سلسلة إصداراتها في إطار برنامج "تصحيح المعلومات الخاطئة التي تنشر عن الإسلام والمسلمين"، مؤملةً أن تحقق النفع، وأن تفي بالقصد.

وفقنا الله لما فيه نشر كلمة الحق وبيان معالم الدين الهادية إلى سواء السبيل.

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

لا يخفى أن **فكرة التعايش نشأت مع تكوين المجتمعات**، وأنها قامت على أساس التشابه بين أفرادها ؛ ثم لم تلبث أن تطورت بعد ذلك لتقوم بناء على الاحتياج. ومن ثم فإنه كلما اتسع نطاق المنضوين في تكتل بشري معين، ضعف عنصر التشابه - على أهميته - وقوي عنصر الاحتياج، ومعه زادت ضرورة "التعايش".

وإذا كان هذا "التعايش" في مدلوله اللغوي العام - وفق ما تقتضيه صيغة التفاعل - يعني أن يعيش البعض مع البعض الآخر، فإنه في مفهومه الاصطلاحي المعاصر، يقصد إلى أن يكون هذا العيش المتبادل قائماً على المسالمة والمهادنة. وهو ما يؤكده الوصف الذي غالباً ما يستعمل مرتبطاً به حين ينعت بـ "السلمي".

وإن المتأمل في مصطلح "التعايش السلمي" من حيث عمق دلالته، وحتى من حيث صرفه وتركيبه في مختلف اللغات، لينتهي إلى أنه يعكس وضعية قلقة تتأرجح بين السلم في معناه الواضح الصريح، وبين الحرب في مدلولها القديم المتعارف عليه.

والحقيقة أنه بهذا البعد، جاء منبثقاً عن المرحلة التي ظهر فيها السلاح النووي، والتي شهدت بعد الحربين الكونيتين ميلاد قوتين تتصارعان على النفوذ العالمي، ومعهما حلفاؤهما ؛ ولكن في سياق جديد يحفظ لهما علاقاتهما الدبلوماسية، وكذا بعض مظاهر التعاون الناتجة عن الإحساس بالحاجة إلى الأمن الجماعي وضرورة رد كل عوامل الاعتداء، والمحققة في نفس الوقت لبعض المصالح المشتركة المرغوب في حفظها ؛ ويجعلهما بالتالي تتحاشيان الاصطدام التقليدي المباشر، لما قد يفضي إليه من تبادل التدمير، وتسعيان إلى المحافظة على بعض التوازن داخل إطار الخلاف المذهبي الذي يفرق المعسكرين.

وعلى هذا السياق الذي هو أشبه ما يكون بهدنة قتال، أطلق لفظ "الحرب الباردة"، بكل ما ينم عنه هذا اللفظ من مراوغة ومناورة يكاد يختلط فيهما المفهوم السياسي بالحربي، بل يكاد السياسي يأخذ الصبغة الحربية. والسبب أن الحرب أخذت بعداً دلالياً آخر، لم تعد به وسيلة لأخذ حق مشروع أو إقرار شرعية محددة، وإنما غدت أداة لفرض هيمنة نظام معين، وتوسيع نطاق نفوذ هذا النظام، من خلال روابط قائمة على الصراع، ولكن بأساليب سلمية يتوسل فيها بالتطاحن الأيديولوجي والتنافس الاقتصادي والتسارع التقني، دون إهمال التسابق إلى السلاح المتطور الفتاك.

وعلى الرغم من الانهيار التلقائي الذي عرفه المعسكر الشرقي، فإن الوضع ما زال قائماً، وإن أخذ يميل إلى توجه آخر يتوخى هدفه الترصد للقوى المحتمل ظهور فاعليتها، أو بالأحرى استرجاع هذه الفاعلية على الصعيد العالمي، بقصد القضاء عليها، أو على الأقل وقف تأثيرها وحده قبل أن تتمكن من الانتشار واحتلال المكان اللائق بها، لاسيما وتجربة التاريخ تؤكد مدى إمكان ذلك.

وهنا يكمن الموقف المتخذ ضد الإسلام والمسلمين، والمتجلي في محاولة إظهار هذا الدين ومعتنقيه بصور مشوهة عديدة، من بين ملامحها التشدد والتطرف والتعصب وعدم القدرة على "التعايش" مع الآخرين.

من هذه الزاوية، يسعى البحث الذي نحن بصدده إلى إظهار حقيقة "التعايش" الذي يدعو إليه الإسلام، بما يتجاوز مدلول المصطلح المتداول حتى حين يوصف بـ "السلمي". وإنه لتجاوز يتيح إمكان عيش البعض مع البعض الآخر، خارج دائرة الصراع، وداخل إطار إحدى أهم قيم هذا الدين وسماته المميزة، ألا وهي "التسامح"، بكل ما تعنيه من حرية للبشر كافة، ومن مساواة بينهم، في غير تفوق

جنسي أو تميز عنصري، وفي نفي لكل عداء متوارث، وبكل ما يعنيه كذلك من شعور تقديري نبيل للإنسانية يسعى إلى الحقيقة وإلى الحرية، ويتغلب على كل حب أناني يمكن أن يستبد بالذات ؛ وغالباً ما كان يستبد، على النحو الذي تكشفه الصحائف الدامية التي سجلها التاريخ، والتي كان فيها أثر كبير للنزاعات الناشئة عن تباين المجالات الفكرية والعقدية وما إليها مما يكشفه الرأي وحرية التعبير عنه ؛ أي إلى العوامل الثقافية.

وليست تخفى أهمية هذه المجالات وعظيم أثرها على الأحداث، وعلى نشوب الصراعات والحروب، بغض النظر عن الرؤى التي تنظر من خلالها الدول والشعوب إلى الثقافة.

وإذا كان غير ممكن تصور إزالة التعارضات المتولدة عن تلك العوامل، بما تمنحه لكل مجتمع، وحتى لكل فئة، من خصوصيات، فإنه لا شك أن تقليص الهوة بينها في خط التكامل القائم على تقوية التواصل والتبادل، لمن شأنه أن يقود إلى التقارب، أو إلى مظهر من التضامن يدرك المختلفون فيه قيمة ما عند الآخر وإمكان الاغتناء بالاقتباس منه، وربما التجاذب معه والتنافس إن بدت شدة الاختلاف، ولكن من غير أن يتحول الأمر إلى توتر ثم إلى صراع. وهو ما لايتسنى إلا بـ "التسامح".

ونود منذ البدء أن نؤكد أن **التسامح قيمة كبرى في الإسلام**، نابعة من "السماحة"، باعتبارها ملمحاً جامعاً يطبع مختلف جوانبه العقدية والتشريعية والسلوكية.

وقد جلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هذا الملمح فجعله يلخص الدين كله حين قال : «بعثت بالحنيفية السمحة»(1)، وكان

(1) جزء من حديث أخرجه ابن حنبل في مسنده عن أبي إمامة.

صلوات الله عليه قد سئل : أي الأديان أحب إلى الله ؟ أجاب : "الحنيفيةالسمحة"(1).

أما "الحنيفية" فقد تحدث عنها القرآن الكريم في آيات كثيرة كقوله عز وجل وهو يأمر رسوله الكريم والمسلمين أن يعبروا عن موقفهم مما يروجه بعض أهل الكتاب في تعصب لأنفسهم والطعن في غيرهم، وأن يعربوا عن إيمانهم بجميع الكتب السماوية والرسل الذين حملوها كافة : ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾(2).

فالحنيف هو الذي يميل إلى الحق في إخلاص وصدق واستقامة وإسلام الأمر لله تعالى، من غير التواء أو نفاق، على النحو الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام، والذي اختص به كل مسلم فيما بعد، باعتبار أن الملة الإبراهيمية جامعة لأصول عقيدة التوحيد. وهو نفس الموقف الذي أكده القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله ﴾(3).

بل إن القرآن الكريم يعتبر الإيمان بهذا البعد الاستيعابي السمح مصداقاً للاهتداء ودلالة عليه، وإن لم يكن كذلك فهو مجرد مظهر

---

(1) أخرجه ابن حنبل في مسنده عن ابن عباس. وانظره كذلك مع بعض الاختلاف في اللفظ عند البخاري في كتاب الإيمان، والترمذي في المناقب.

(2) سورة البقرة، الآيتان 135-136.

(3) سورة البقرة، الآية 284.

للجهل والمخالفة. يقول عز وجل: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾[1].

والربط بين الهداية والحنيفية الإبراهيمية وارد في مواطن كثيرة على نحو قوله سبحانه: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم. ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[2].

وأما "السمحة" فصفة من السماحة، وكذا السماح والسموحة، وهي في أصل مدلولها تعني الجود والعطاء والكرم والسخاء، ثم اكتسبت معنى اليسر والسهولة في المعاملات وغيرها مما يتسمح فيه الناس ويتساهلون. يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «السماح رباح والعسر شؤم»[3]. ويقول، صلوات الله وسلامه عليه: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[4]. وسأله رجل مرة: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فأجاب، عليه الصلاة والسلام: «إيمان بالله وتصديق وجهاد في سبيل الله وحج مبرور»، قال الرجل: «أكثرت يا رسول الله» فرد، صلى الله عليه وسلم: «فلين الكلام وبذل الطعام والسماح وحسن الخلق»[5].

ويعزى هذا السماح إلى عوامل متعددة تمثل حقيقة الإسلام، من أهمها:

أولاً:

أنه دين الفطرة، أي الدين الذي يساير طبيعة خلقة الإنسان واستعداده لإدراكه والالتزام به. يقول عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين

(1) سورة البقرة، الآية 136.
(2) سورة الأنعام، الآيتان 162-163.
(3) رواه القضاعي عن ابن عمر والديلمي عن أبي هريرة. انظر كلاماً عن هذا الحديث في: "كشف الخفا" للعجلوني، ج 1، ص 456، نشر مكتبة القدسي 1351هـ.
(4) أخرجه البخاري وابن ماجة عن جابر.
(5) رواه ابن حنبل في مسنده عن عمرو بن العاص.

حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1].

ثانياً :

أنه دين الوسطية والاعتدال. يقول تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾[2]. والوسط هو الخير والأفضل، لأنه بين صفتين ذميمتين، كالتفريط والإفراط، والتحلل والغلو. وهو ما يقرره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول : «خير الأمور أوسطها» أو "أوساطها"[3].

ثالثاً :

أنه دين اليسر. يقول سبحانه : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[4]. ويقول صلوات الله وسلامه عليه : «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»[5]. ويقول، صلى الله عليه وسلم، محذراً من الابتعاد عن اليسر : «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[6].

رابعاً :

أنه دين يحث على السلوك الحميد الذي ينبغي أن يكون مهذباً ليناً سائراً على الفضائل والمكارم وحسن الأخلاق. وقد وصف الله رسوله الكريم بقوله التأكيدي : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[7]. وخاطبه

---

(1) سورة الروم، الآية 29.

(2) سورة البقرة، الآية 143.

(3) رواه البيهقي عن كنانة.

(4) سورة البقرة، الآية 184.

(5) رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة.

(6) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس.

(7) سورة القلم، الآية 4.

بهذا النصح المبرز لأحد ملامح خلقه : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[1]. ولا بدع بعد هذا أن يقول صلوات الله وسلامه عليه : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

من هذا الجانب السلوكي وما يتفرع عنه من أبعاد ترتبط بالإسلام في شموليته وتكامله، ينبثق "التسامح" سمة مميزة تطبع المجتمع الذي يدعو الإسلام إلى قيامه و"التعايش" فيه، بصفته دين "السماحة" الذي لا ضيق فيه ولا تعصب، ولا غلو ولا تطرف، ولا عنف ولا إرهاب، سواء مع الذات أو الآخر[3]، نقصد الذين يعيشون في هذا المجتمع من مسلمين وغيرهم، كذا الذين ينتمون إلى مجتمعات أخرى بكونهم أصحاب حقوق هي التي أصبحت اليوم تعرف بحقوق الإنسان، تلك التي تمس جوانب كثيرة من حياة الأفراد والجماعات، مدنية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وتتمحور في جملتها حول الحرية من حيث إن هذه الحرية حق طبيعي وفطري لكل البشر، ومن حيث إن حياة هؤلاء البشر لا يمكن أن تتحقق بدون تسامح، أي بدون الحق في الاختلاف.

إلا أن مسألة التسامح من منظور هذا الأفق المتسع تحتاج إلى توضيح، ولو بوقفة صغيرة مع صرف كلمة "التسامح"، وقد جاءت - مثل "التعايش" التي سبق التلميح إليها - على صيغة "تفاعل". ونراها أقرب إلى معنى الفعل الأصلي الذي يفيد السماح، أو إلى معنى المطاوعة التلقائية الناتجة عن مسامحة الدين ودعوة المسلمين إلى

---

(1) سورة فصلت، الآية 33.

(2) رواه مالك في الموطأ (انظر : "تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك" تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج 3، ص 97، ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).

(3) انظر "تسامح الإسلام مع الذات والآخر"، كتاب قدمه المؤلف للدورة الثالثة للجامعة الصيفية التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالدار البيضاء أيام 4-5-6 شعبان 1414هـ الموافق 17-18-19 يناير 1994 ؛ وهو أصل هذا البحث.

أن يكونوا متسامحين ؛ وإن كنا لا نستبعد صيغة التفاعل الدالة على الاشتراك في الفاعلية والمفعولية، مما يدل على موقف الإسلام الإيجابي من تبادل السماح إذا ما توافر في الطرف الآخر. وهذا ما يجعل **حقيقة التسامح في الإسلام، وما ينتج عنها من تعايش، ذات ثلاثة أبعاد** :

الأول : داخلي يهم المسلمين في مجتمعهم.

الثاني : داخلي كذلك يرتبط بغير المسلمين الذين يعيشون في هذا المجتمع.

الثالث : خارجي يتصل بعلاقات هذا المجتمع مع غيره من مجتمعات مخالفة.

ولعلنا - قبل مقاربة هذه الأبعاد - نوضح أن الإسلام يتسم بالفردية، على أساس أن الدين مسألة تخص الفرد من حيث هو - أي الدين - علاقة بين الإنسان وخالقه بكل ما تقتضيه هذه العلاقة من طاعة وخشوع وتأمل ؛ وأنه في نفس الآن يتميز بالجماعية، لارتباطه بتكوين مجتمع شرع له قوانين وأحكاماً ومبادئ تضبط مختلف شؤونه.

الإسلام بهذا دين يتجه للفرد والجماعة[1]، بل هو ينطلق من الفرد ليصل إلى الجماعة ؛ وينظر إلى الفردية في مدلولها الفلسفي والنفسي الذي هو رديف الشخصية، وكذا في بعدها الاجتماعي الذي يجعلها حالة الفرد بصفته وحدة ضمن الوحدات المكونة للمجتمع، بكل ما في هذه الوحدة من خصائص ومؤهلات تجعلها صالحة للحياة

(1) انظر بحث الكاتب : "المسلمون بين واقعية الحياة المتغيرة ومثالية القيم الدينية"، مجلة الأحياء - العدد الثالث من السلسلة الجديدة (الرقم المتسلسل 15).

في ذلك المجتمع، وتبعدها عن كل مدلول سلوكي يكون به الفرد أنانياً منعزلاً عن الآخرين، لا يرى إلا نفسه يعتبرها الغاية التي بها يلغي الآخر.

ومن ثم عني الإسلام بالفرد عناية فائقة تتمثل في عدة مجالات أبرزها ثلاثة :

<u>أولاً</u> : تمتيعه بحقوق، بها يعيش إنسانيته في حرية وعزة وكرامة ومساواة مع الآخرين.

<u>ثانياً</u> : تكليفه بواجبات هي التي تحدد دوره، وتجعل منه شخصاً مسؤولاً في المجتمع ينهض بمهمات تخول له مكانة وأهمية، وقبل ذلك تجعله يفيد منافع في هذا المجتمع.

<u>ثالثاً</u> : إعداده إعداداً صالحاً لكي يكون قادراً على الاستفادة من حقوقه والقيام بواجباته ؛ وهو مجال يتحقق بالتربية السوية المتكاملة التي تراعي العنصرين المكونين لفردية الإنسان، وهما جسده وروحه.

وبناء على هذه العناية بالفرد تتم العناية بالجماعة كذلك، لأن كل ما يخصه يفضي في النهاية إليها إيجاباً وسلباً، إذ المجتمع في آخر المطاف هو هذا الفرد الذي يشكل الأساس واللبنة الأولى والنواة التي تعطي الثمار. ومن هنا كان إعداد الأفراد على النهج القويم تهييئاً لمجتمع سليم صحيح ؛ لأن نطاقهم يتسع شيئاً فشيئاً في خلايا وأسر تكبر بالتدريج وتنمو إلى أن يتم الوصول إلى هذا المجتمع.

لقد أراد الإسلام هذا المجتمع متسامحاً مع نفسه ومع الآخرين ومتعايشاً معهم. وله إلى هذه الإرادة دواع وأسباب كثيرة يمكن إجمالها في دوافع ثلاثة هي :

أولاً :

أن **الإسلام في أساسه يدين التعصب** كيفما كان، جنسياً أو دينياً، لقيام هذا التعصب على الهوى وحب الذات وحدها ورفض ما سواها وإلغاء الآخر، ويضع الإنسان من حيث هو في مكان التكريم. يقول تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾[1]، إذ أن الله كرم بني آدم بأن جعلهم في ذواتهم أعزة غير أذلة، وبأن فضلهم وجعل لهم مكانة متميزة عن غيرهم من المخلوقات، فأتاح لهم بذلك قابلية التحضر واكتساب المعارف وتحقيق التطور، ومكن لهم في الأرض فحملهم الأمانة التي اعتذرت عن حملها أعظم الكائنات. يقول عز وجل : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾[2]. وقد جاء هذا التكريم منذ النشأة، إذ خلقه الله من طين، ثم بث فيه من روحه وأمر الملائكة أن تسجد له تقديراً واحتراماً. يقول سبحانه : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[3]. ثم لم يلبث أن مكنه من العلم الذي يستطيع به أن يحقق وجوده وحياته في سياق الوضع الذي أراده الله له، إذ يقول : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾[4].

ثانياً :

أنه **يدعو إلى التعارف**، أي إلى التجمع والتساكن وتبادل المنافع والمصالح، أي إلى التعايش، في أخذ وعطاء، وفي تأثر

(1) سورة الإسراء، الآية 70.
(2) سورة الأحزاب، الآية 72.
(3) سورة ص، الآيتان 70-71.
(4) سورة البقرة، الآية 30.

وتأثير دائمين، بعيداً عن أية عصبية جنسية أو عنصرية إقليمية أو نعرة ثقافية. وهو بذلك لا يرى فضلاً لأحد على الآخر إلا بالتقوى. يقول عز وجل : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1]. والتقوى تعني طلب الوقاية التي هي الصيانة من كل ما قد يصيب من ضرر ومكروه، والحفظ منهما والحصانة والمناعة. وإن أولي الآيات التي تحدثت في القرآن الكريم عن المتحلين بهذه الصفة، وهي قوله تعالى : ﴿ الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[2] بينت أن في الكتاب المنزل على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، هدى وإرشاداً لما يوصل إلى البغية التي هي الصلاح. ثم جاءت آيتان بعدها تبينان أن هؤلاء المتقين هم الذين يؤمنون بالغيب مقرين ومصدقين بكل ما أخبر به الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، مما لا يدركه العقل والحواس. وهم الذين يؤدون صلاتهم ويواظبون عليها. ثم هم الذين ينفقون مما رزقهم الله فيزكون ويتصدقون ويعطون ويبذلون. وهم بعد هذا الذين يؤمنون بجميع الكتب السماوية والرسل الذين بلغوها. وهم في النهاية الذين يعتقدون اعتقاداً جازماً في الدار الأخرى حيث الحساب والجزاء. يقول سبحانه : ﴿ الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾[3]. والتعارف يقتضي القدرة عليه، وأكثر ما تتمثل فيه القدرة هو قبول الاختلاف في الرأي والمخالفة في العقيدة.

(1) سورة الحجرات، الآية 13.
(2) سورة البقرة، الآية 1.
(3) نفس السورة، الآيتان 2-3.

ثالثاً :

أنه **ينطلق من أن الاختلاف كامن في طبيعة الحياة وجبلة الخلق**، إذ أن الله تعالى خلق الكون وما فيه ومن فيه على أساس من الاختلاف البارز في التنوع والتعدد، مما يتجلى في مختلف الظواهر والمظاهر. يقول سبحانه : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾[1]. ويقول : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾[2]. ويؤكد عز وجل هذه الحقيقة التي لا تبديل فيها فيقول : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[3] ؛ أي أن سنة الله في الأرض تقوم على تباين البشر، سواء أكان هذا التباين يتعلق بالجنس أم اللغة أم الدين، أم أي مكون من مكونات الحضارة والثقافة. والإسلام بذلك يرى الأمر خاضعاً لإرادة الله والسر كامناً فيها. ويؤكد الله تعالى هذه الإرادة وما يترتب عليها من عدم إكراه الناس على الإيمان فيقول : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين ﴾[4]. وإنها لآية كريمة تدل على أن الله لو شاء لجعل الناس في مستوى واحد من الفهم والإدراك المفضيين إلى الإيمان. ومن ثم فإن رسوله، عليه الصلاة والسلام، لا يستطيع أن يزيل هذا التفاوت مهما تكن محاولاته.

لهذا كله، لاسيما فيما يتعلق بمنطلق الاختلاف، فإن الإسلام لا يضطر أحداً إلى اعتناق الدين ولا يكرهه عليه. يقول سبحانه : ﴿ لا

---

(1) سورة آل عمران، الآية 190.
(2) سورة الروم، الآية 21.
(3) سورة هود، الآية 118.
(4) سورة يونس، الآية 99.

إكراه في الدين ﴾[1]. وفي نفس الآية يجيب عز وجل عن سبب حظر هذا الإكراه : ﴿ قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾. وهذا جواب تعليلي، ولكنه كذلك يعني أنه تعالى في نطاق التسامح، يبشر المسلمين والذين آمنوا بأنهم ناجحون ومفلحون، كالمتمسك بحبل متين لا يخشى على نفسه من أن يهوى أو يقع.

نعم، إن السر في ترك الاختلاف يرجع إلى أن الإسلام يدعو إلى الإيمان الذي يقوم على النظر والتأمل والاختيار، ويرجع كذلك إلى أن الله تبارك وتعالى أتاح الفرصة لمن يومن ويعمل الصالحات، كي ينال حسن الثواب والجزاء، بالقياس إلى من لا يؤمن ولا يعمل الصالحات وما ينتظره من وعيد ؛ لأن الإسلام حين يبيح الحرية الدينية، يعتبر أن النظر في الخلاف حولها متروك لله الذي يقول : ﴿ فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾[2].

ولعلنا في هذا السياق نفهم معنى ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ أي لا ينبغي إلزام أحد بالدخول في الإسلام عن طريق الإرغام والاضطهاد والتخويف وما إلى ذلك، لأنه دين يقوم على التفكر والتدبر ؛ علماً بأن الحرية الدينية ـ في منظور الإسلام ـ تنطلق من أن الدين عقيدة وإيمان، أي شعور ذاتي وداخلي للإنسان، يقوم على الاقتناع وميل النفس واطمئنانها، لأنه استسلام وانقياد لله عز وجل.

هنا قد يأتي من يعترض مستنداً إلى الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أقاتل

---

(1) سورة البقرة، الآية 256.

(2) سورة البقرة، الآية 113.

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[1].

ونود أن نبين أن هذا الأمر كان موجهاً للرسول الكريم، حثاً له على رد عدوان المشركين الذين واجهوه ووقفوا ضد الدعوة الإسلامية في مكة، واضطروه وأصحابه إلى الهجرة منها للمدينة. أما بعد فتح مكة واستقرار أمر هذه الدعوة، فقد نظر الإسلام إلى مخالفيه بتسامح، ما لم يقاتلوه أو يريدوا البغي والظلم وما قد ينتج عنهما من فتنة. يقول عز وجل: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾[2]. ويتضمن سياق الفتنة كل ما يعرقل الدعوة الإسلامية التي هي دائمة ومستمرة، أو هكذا ينبغي أن تكون.

إن الإسلام يفرق في تعامله مع مخالفيه بين الذين يقاتلون المسلمين والذين يسالمونهم. أما الفئة المسالمة فيقول عنها الحق سبحانه: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾[3]. وأما الفئة المقاتلة فيقول عنها عز وجل في الآية اللاحقة: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[4].

---

(1) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة.

(2) سورة البقرة، الآية 192.

(3) سورة الممتحنة، الآية 8. وانظر المبحث الخاص في هذا العرض بدعوة الإسلام إلى السلم.

(4) سورة الممتحنة، الآية 9.

لو حاولنا بعد هذا أن ننظر في مظاهر "التعايش" الذي يدعو إليه الإسلام، لوجدناها متجلية على صعيد الواجهات الثلاث التي تشد المجتمع الإسلامي وتستقطبه وهي :

1. المسلمون المكونون لهذا المجتمع كلاً أو أغلبية.
2. الأقليات غير المسلمة التي تعيش معهم في نفس المجتمع حين توجد.
3. المجتمعات الأخرى المخالفة لهم.

أما فيما يخص المسلمين، فقد دعاهم الدين الحنيف إلى أن يؤسسوا مجتمعاً يقيمونه على دعائم تسامحية أساسية نستطيع تركيزها في النقط الأربع الآتية :

الأولى :

أنه **يقوم على المحبة والمودة والأخوة**، وهي قيم ألح عليها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في مواطن متعددة. يقول عز وجل : ﴿ والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض ﴾[1]. أي إخوة في الدين يؤيد بعضهم بعضاً ويساندوهم ويعضدونهم وينصرونهم. ويقول تعالى : ﴿ إنما المومنون إخوة ﴾[2]، أي لا ينبغي أن تكون بينهم عداوة. والتعبير بأداة الحصر "إنما" يفيد أنه لا توجد أخوة أقوى وأمتن من الأخوة التي تجمع بين المؤمنين، بما في ذلك أخوة الدم والنسب. ويقول سبحانه : ﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾[3]، أي يفضلون

---

(1) سورة التوبة، الآية 72.

(2) سورة الحجرات، الآية 10.

(3) سورة الحشر، الآية 9.

الآخر ويقدمونه ويخصونه بالشيء، ولو كانت بهم حاجة إلى هذا الشيء، وهو ما يعرف بالإيثار، وعكسه الأثرة التي تعني تفضيل النفس على الغير. ويقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مبرزاً ما ينبغي أن يكون بين المؤمنين من تبادل المحبة والمودة والمساعدة وإشفاق بعضهم على بعض، والرحمة بهم في الشدائد والملمات : «مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(1).

الثانية :

أنه **مجتمع التكافل**. والتكافل مظهر للأخوة ومترتب عليها ؛ وهو أن يكون الفرد في كفالة الجماعة، بأن تحفظ له مصالحه الحيوية وترد عنه الأضرار. يقول، صلوات الله عليه : «المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»(2).

فكما أن للأفراد واجبات يؤدونها، وإن لم يؤدوها تعرض المجتمع للخراب، فإن لهم حقوقاً إن لم تسدد وقع الانهيار كذلك. وإذا كان المقصود هو حقوق سائر الأفراد، فإن في حال التكافل يختص بالعجزة والضعفاء، ومن إليهم من الأرامل واليتامى والفقراء والمساكين. وبهذا تأخذ الحقوق والواجبات مجراها الطبيعي في نطاق تحقيق إنسانية الفرد والمجتمع، بكل ما تتطلبه هذه الإنسانية من غذاء وأمن وعدل وفضيلة وإيمان، وبكل ما تتطلع إليه النفس البشرية من رخاء وسعادة وحرية وعزة وكرامة، وغير ذلك من الضرورات التي بدونها لا تقوم حياة حق.

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

(2) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن حنبل عن أبي موسى، وزاد : «وشبك بين أصابعه».

إن التكافل بهذه الأبعاد فلسفة حياة من منظور الإسلام، عليها يقوم المجتمع الصحيح السليم حتى لا يصاب، أي حتى لا يكون فيه ظالم ومظلوم، وصاحب حق وصاحب باطل، وفاعل خير وفاعل شر، ومتسلط ومقهور، ومحتكر ومحتاج، ومتخم وجائع.

وهي فلسفة تقوم على أن السعي في الحياة هو إحدى وسائل التقرب إلى الله في محاولة للعيش وفق مبادئ الأخوة والتعارف. وهذا ما يجعل التكافل يتجاوز مجرد التصدق، لاسيما التصدق الذي يبطله المن والأذى، إذ يقتضي النظر إلى الآخر مثل النظر إلى النفس في جميع ما تتمناه أو تكرهه. يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم : «لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

الثالثة :

أن الحياة في هذا المجتمع تقتضي أن يشعر كل فرد فيه أنه مسؤول يتحمل قسطاً من الأمانة. يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده. فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2]. وإن هذه المسؤولية لتمس ظاهر الحياة وباطنها وما يعلن الإنسان وما يخفيه، وهي متبوعة بمحاسبة تقتضي ضميراً حياً يقظاً يراعي الله والناس والنفس، من خلال المبادئ والقيم التي تضبط هذه المحاسبة وارتباطها بالأعمال الصالحة، يقول تبارك وتعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[3]. وهذه هي المسؤولية التي تتصل بالأمانة التي طوق

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان عن أنس، وكذا رواه مسلم وابن حنبل.
(2) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن حنبل عن ابن عمر.
(3) سورة التوبة، الآية 106.

بها الله عنق الإنسان، والتي هي ـ كما مر ـ مظهر من، بل أسمى مظاهر تكريمه، إذ تتجاوز في المحاسبة عليها مختلف القوانين، لأنها بعد أن تعرض على النفس، وبعد أن يراها الناس، يؤول أمرها إلى الحق سبحانه، فتوضع في ميزانه القويم الذي لا مفر لأحد من مواجهته.

ولاشك أن الإنسان حين يكون مقتنعاً بأن يتحمل مسؤولية ـ كيفما كانت صغيرة أو كبيرة ـ سيحاسبه الله عليها ولا مجال للتحايل عليها أو الإفلات فيها من العدالة الإلهية، فإن حس الحق والإنصاف يستقر في أعماقه وضميره. وهذا هو الحس الذي إذا رسخ في النفوس، ساد العدل وزال الظلم وعم التكافل.

الرابعة :

أنه **مؤسس على الحرية التي يعتبرها الإسلام قيمة كبرى،** لاتصالها بطبيعة الإنسان وفطرته وغريزته، مما عبر عنه الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في قولته الرائعة : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!»، ولأنها حق أساسي من حقوق الإنسان بل مظهر من أبرز مظاهر تكريم الله له. ونكاد نجزم بأن التعبير بالتكريم ـ وقد سبقت الإشارة إليه ـ أشرف وأجل من التعبير بـ "حقوق الإنسان" الذي شاع اليوم، إذ "الحق" يوحي بالأخذ والصراع، أما "التكريم" فدال على إفاضة النعم والأفضال.

والحرية التي أكرم الله بها الإنسان تمس عقيدته وعمله ومسكنه ومراسلته وتفكيره وتعبيره، بها تكون الشخصية وتقوم الحياة ويتحقق الإنتاج، وبها ينهض المجتمع القوي المتماسك الذي تخف فيه حدة الصراع في مدلوله الذي يعني النزاع القائم على التعارض بين اتجاهات، كل منها يحاول أن يلغي الآخر ويحل مكانه، على الرغم من أن هذا الصراع ظاهرة إنسانية وقانون بشري يكاد

يكون عاماً. والسبب أن الإسلام حوله إلى تنافس حث عليه القرآن الكريم في قوله: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[1].

إن الإسلام إذا كان ينادي بالحرية، فلأنه دين الحياة، يدعو الإنسان إلى أن يمارس وجوده فيها بالحضور والمساهمة والإنتاج، وإلى أن يكون هذا الوجود قائماً على التعايش ومتسماً بالعزة والكرامة والشرف. وإن أولى مراحل هذه الممارسة لترتبط بالتوحيد الذي هو تحرير الإنسان من الشرك في شتى مظاهره، بدءاً من عبادة الأصنام والأوثان إلى الانسياق للأهواء والنزوات والخضوع لطغيان المال واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان.

وقد أفضى التحرير من الشرك في الإسلام - على هذا النحو - إلى عملية أخرى لتحرير الإنسان من كل سيطرة تتحكم فيه وتعوق وجوده، فأتاح له أن يكون في مأمن من كل عدوان أو بغي أو تسلط، أو ما إلى ذلك مما يخرق حريته، أو يصيب حياته، أو يمس دينه، أو يؤذيه في ماله وأهله وجميع حرماته. وقد قال تعالى مبرزاً أهمية الأمن من الجوع والخوف، وتأثيره على عبادته: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[2]. وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مؤكداً قيمة أمن الإنسان في نفسه ومجتمعه، مما يعنيه لفظ السرب: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[3].

والإسلام بهذا قد سبق جميع الدساتير والقوانين التي تحدثت عن حقوق الإنسان، وأبرزت حرياته الخاصة والعامة.

---

(1) سورة المطففون، الآية 26.

(2) سورة قريش، الآية 5.

(3) أخرجه الترمذي عن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطيمي.

وإنه لتكفي الإشارة إلى بعض ما نادى به الإسلام في هذا المضمار، كحرمة المسكن، إذ يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾[1]. ومثلها بقية الحريات الشخصية كحرية المراسلة وما إليها مما يمنع الإسلام انتهاكه بالتجسس، وفي هذا الصدد يقول عز وجل ناهياً عن تتبع ما خفي من أمور الناس الخاصة : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾[2].

ولعل أهم تجليات الحرية تكمن في **حرية التعبير**، وتعد في الإسلام نعمة تأتي مباشرة بعد نعمة الوجود ؛ وبها فضل الله الإنسان على غيره من الذين لا ينطقون ولا يبينون. يقول تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان علمه البيان ﴾[3]. ومن هنا نجد القرآن الكريم يحمل الإنسان مسؤولية التعبير عن الحق، ويدين سكوته عنه. يقول سبحانه : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾[4]. وفي هذا النطاق يدخل "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وقد قرنه الإسلام بالإيمان، وجعله مما يبوئ الأمة الإسلامية مكانة التميز والأفضلية. يقول تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ﴾[5].

وأما **بالنسبة لغير المسلمين الذين يشكلون أقليات في المجتمع الإسلامي**، فقد أظهر لهم الدين من التسامح المفضي إلى التعايش، ليس فقط ما يكفل لهم حرية ممارسة عقائدهم، ولكن كذلك ما يجعلهم مواطنين في هذا المجتمع مندمجين فيه، موفوري الحرية

(1) سورة النور، الآية 27.
(2) سورة الحجرات، الآية 12.
(3) سورة الرحمن، الآية 1-2.
(4) سورة البقرة، الآية 41.
(5) سورة آل عمران، الآية 110.

والكرامة، غير منعزلين ولا مهمشين. وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلى **خمسة مظاهر**:

الأول: النهي عن **مجادلة المسلمين لغيرهم** - ولاسيما أهل الكتاب - إلا بالتي هي أحسن. يقول عز وجل: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[1]. وهو موقف دقيق لاشك بحكم دقة المسائل العقدية التي أثيرت ومازالت تثار على مستوى الحوار الإسلامي المسيحي[2]، كمفهوم الكافر والمشرك وقضية المسيح عليه السلام. ثم إنه موقف لا يتنافى مع ضرورة متابعة الدعوة والاستمرار في التبليغ، وكذا الأمربالمعروف والنهي عن المنكر، باعتبارهما دعامتين لحماية المجتمع وصيانته والنهوض به في طريق النمو والتقدم والازدهار؛ طالما أن الإسلام - على نحو ما مر - دين يعنى بالفرد والجماعة معاً ويسعى إلى قيام مجتمع متآخ ومتكافل تسوده الحرية والتسامح، ويشعر فيه كل واحد بمسؤولية بنائه والحفاظ عليه.

الثاني: **حرية ممارسة غير المسلمين لعقيدتهم**، في طقوسها وشعائرها ومختلف مراسمها ومظاهرها الاحتفالية، مع الإقرار بأيام العطل والأعياد، والسماح بإقامة أماكن العبادة والسهر عليها بالمحافظة والصيانة والتنظيم، وكذا احترام العادات والأعراف، بدءاً من متعلقات الولادة إلى الزواج والطلاق وما إليها من التقاليد. ويدخل في ذلك حق تكوين الهيئات المشرفة على الشؤون الدينية، بما فيها ما يتصل بالقضاء المتخصص في الأحوال الشخصية والنظر في

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 46.

(2) وقد دعي الكاتب لحضور بعض لقاءاته.

النزاعات العقدية، مما دلت تجربة الدولة الإسلامية عليه، ومازال دالة عليه في معاملة غير المسلمين. وقد ورد أنه «... إذا تشاجروا في دينهم واختلفوا في معتقدهم لم يعارضوا فيه ولم يكشفوا عنه، وإذا تنازعوا في حق ارتفعوا فيه إلى حاكمهم لم يمنعوا منه»[1]. ويصل حرص الإسلام على حرية العقيدة مع احترام ممارستها وعدم الإجبار على تعطيلها أو تغييرها مهما تكن ظروف الضغط متاحة، إلي حد أنه إذا طلب أحد المشركين من مسلم أن يؤمنه ويحميه، فعليه أن يستجيب له حتى لا يصيبه سوء، إلى أن يصل إلى مكان أمنه، وهو منزله أو مقر قومه. يقول تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾[2].

الثالث : **إباحة مصاهرة أهل الكتاب وأكل طعامهم**. يقول تعالى : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾[3]. والمقصود طعام اليهود والنصارى سواء ما يذبحونه أو يطبخونه، مما هو في الأصل غير جائز، لارتباطه بكيفية الذبح وما إليه مما هو مشترط عند المسلمين ؛ ولكن الله رخص لهم فيه بعد أن استقر أمرهم وعايشوا غيرهم. والسر في هذه الحلية كامن في احترام الإسلام لأهل الكتاب، باعتبارهم يتبعون ديناً سماوياً تراعى فيه ضوابط النظافة والابتعاد عن غيرها. وهذا لا يعني بحال إباحة ما هو محرم على المسلمين أصلاً كلحم الخنزير والخمر.

---

(1) "الأحكام السلطانية" لمحمد بن الحسين الفراء الحنبلي، ص 160-161 (ت. محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية - بيروت 1403هـ / 1983م).

(2) سورة التوبة، الآية 6.

(3) سورة المائدة، الآية 6.

أما مسألة الزواج وكونه مباحاً للمسلم من الكتابية، فإن وجهة نظر الإسلام في ذلك ترتكز على التعايش الذي بمقتضاه تبقى الزوجة على دينها لنفسها ؛ في حين أن الكتابي لا ينبغي أن يتزوج بالمسلمة ما لم يعلن إسلامه، فذلك لأن المجتمعات تعارفت على نسبة الأولاد لأبيهم، ومخالفة ذلك تسليم بفرض الانتساب إلى غير دين الفطرة على مولود لا إرادة له. إن المجتمع الإسلامي بلغ شأواً بعيداً في تحقيق التعايش مع حماية ركائزه الإسلامية.

الرابع : **إسناد مناصب للمسؤولية لغير المسلمين داخل الدولة الإسلامية**، ولاسيما في الميادين السياسية والدبلوماسية والمالية والإدارية. وفي التاريخ الإسلامي القريب والبعيد ما يثبت أن غير المسلمين كانوا - ومازالوا - يتحملون أخطر المسؤوليات، ويعينون في أعلى المناصب. «وقد قيل إنه يجوز أن يكون هذا الوزير(1) من أهل الذمة»(2). ومعروف أن عمر بن الخطاب وظف بعض سبي قيسارية وأدخلهم في خدمة الدولة(3). ومن بين الأمثلة في عهد الدولة الأموية نشير إلى "أنتناش الرهاوي" الذي رأس دواوين الإسكندرية، وكان يلقب في المراسلات الرسمية بـ "الكاتب الأفخم"(4).

الخامس : إطلاق الإسلام على مخالفيه الذين يعيشون مع المسلمين في نفس المجتمع "أهل الكتاب" و"الكتابيين"، وهي نسبة تتضمن اعتراف المسلمين بالكتب السماوية والرسل الذين بعثوا بها. ويطلق عليهم كذلك **أهل الذمة والذميين**، أي أهل العهد والأمان

(1) يشير إلى وزير التنفيذ مقابل وزير التفويض.

(2) "الأحكام السلطانية" للفراء، ص 32. وهو نفس رأي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي في "الأحكام السلطانية"، ص 21-22 (ت محمد بدر النعساني الحلبي - نشر الخانجي - مصر 1327هـ / 1909م).

(3) انظر : "فتوح البلدان" لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ص 142 (ط القاهرة 1318هـ).

(4) انظر : "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي، ج 1، ص 98 (ط بولاق، القاهرة، 1270هـ).

والضمان. وهو اسم أوسع من "أهل الكتاب"، لأنهم يشملهم ويشمل غيرهم من أصحاب الملل والنحل الأخرى التي كانت معروفة قديماً، وهي المجوسية والسامرية والصابئة. فقد روي أن بعض المسلمين ذكروا لعمر بن الخطاب قوماً يعبدون النار ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا من قوم نزل عليهم كتاب، فأشكل الأمر على عمر، فقال عبد الرحمن بن عوف : «أشهد على رسول الله أنه قال : سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[1]. كما روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قبل الجزية من مجوس هجر على ألا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم ؛ وطلبها خالد بن الوليد، وهو عامل أبي بكر، من أهل العراق، وهم يومئذ فرس، في كتاب كان إلى مرازبتهم ؛ وقبلها عمر بن الخطاب بعد ذلك منهم ؛ وقبلها عثمان بن عفان بعده، ومن البربر وكانوا مجوساً[2]. ويتجلى التسامح مع هؤلاء وأولئك في احترام عقائدهم وتمتيعهم بحرية أدائها على نحو ما سبق. ويبلغ هذا التسامح مداه عند الممارسة والتطبيق على صعيد المجتمع كله، انطلاقاً من توجيهات الرسول الأكرم، صلوات الله وسلامه عليه، وفق ما نقرأ في هذه الأحاديث الشريفة : «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[3]. «من قذف ذمياً حد له يوم القيامة بسياط من نار»[4]. «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة»[5].

---

(1) كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، ص 74 (ط السلفية - مصر 1347هـ).

(2) "الخراج وصناعة الكتابة" لقدامة بن جعفر، ص 225 (ت محمد حسين الزبيدي - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - ط دار النشر للرشيد - العراق 1981م). هذا وقد روي في البخاري والترمذي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أخذ الجزية من مجوس هجر. كما روي في الترمذي أنه عليه السلام أخذها من مجوس البحرين، وأن عمر أخذها من فارس، وأن عثمان أخذها من الفرس والبربر.

(3) رواه الخطيب البغدادي عن ابن مسعود.

(4) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة.

(5) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن عمرو بن العاص.

وهي توجيهات نفذها الخلفاء الراشدون وقواد الفتح الإسلامي في جميع ما عقدوا من عهود ومواثيق(1).

وإذا كانت الضرورة في كل عصر تقتضي تقوية هاته الدعائم، فإنها تبدو اليوم أكثر إلحاحاً، بسبب سوء فهم مدلول التعايش الحق - سواء بالنسبة للمسلمين أو لغيرهم - وما ترتب عليه من تفريط في شؤون الدين وابتعاد عنه في كثير من جوانب الحياة، وانحراف سلوك الأفراد والجماعات وما نتج عن ذلك كله من ظروف متأزمة يعيشها المسلمون ومن يساكنهم، بفعل عوامل داخلية وخارجية. وهي تقتضي البدء بإصلاح الذات ومعالجة مشاكلها بما يقوي المجتمع بل المجتمعات الإسلامية في بنياتها الداخلية، ويجعلها قادرة على الصمود ومواجهة كل التحديات والاعتداءات.

من هذا المنظور، يتبين أن غير المسلمين يعيشون مع المسلمين داخل المجتمع الإسلامي، متمتعين بمساواة تامة، لا يختلفون عنهم إلا بشيء واحد، هو **دفعهم الجزية**. وهي تؤخذ منهم مقابل ضمان حمايتهم، وكذا **مقابل إعفائهم من التزامين ينهض بهما المسلمون القادرون، هما**:

1. إيتاء الزكاة.
2. الخروج للجهاد.

أما **الزكاة فهي فرض على المسلمين وحدهم** وتعوضها الجزية بالنسبة لغيرهم، والجزية تخضع لتدخل الدولة في جمعها أو الإعفاء منها لمن تجب عليه دون أي نظام ملزم. ويجب التنبيه إلى أن مصارف الزكاة تكون للفقراء والمساكين - وغيرهم - دون اشتراط

(1) انظر بحثاً مفصلاً للكاتب بعنوان: "استخلاص التصور السليم لمعاملة غير المسلمين في ديار الإسلام"، وهو منشور في كتابه "بحوث مغربية في الفكر الإسلامي" ابتداء من ص 119 (ط الأولى - الرباط 1406هـ / 1988م).

الإسلام، فالذمي يأخذ من بيت المال في حال عجزه أو فقره مثل المسلم، كما سنرى فيما بعد.

وأما الجهاد فتسقطه الجزية عن غير المسلمين، مع أنه فرض على المسلمين أوجبه الله عليهم لرد العدوان، وللدفاع عن النفس والوطن والدين ؛ وهو ليس كذلك بالنسبة لغيرهم ممن يعيشون في دولة الإسلام، مما يجعل الجزية بمثابة تعويض عن حماية المسلمين لأنفس الذميين وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم العامة والخاصة وكل ما يكفل لهم حياة كريمة في المجتمع الإسلامي، بل حمايتهم من أدنى أذى يمكن أن يمسهم أو يتعرضوا له، من غير أن يشاركوا هم في هذه الحماية. فقد ورد في وصية عمر بن الخطاب للخليفة من بعده : «... وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمومنين...»[1]، **إذ لا ينبغي إجبار الذمي على التضحية بحياته دفاعاً عن دين - الإسلام - هو غير مؤمن به، حيث كانت الحروب قديماً ذات طابع ديني.**

والجزية منصوص عليها في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[2] ؛ أي يدفعها القادرون عليها، وهو ما يفيده تعبير "عن يد"، مقابل خضوعهم لنظام الدولة التي تتكفل بحمايتهم وحفظ حقوقهم، واعترافهم بهذا النظام، وعدم رفضهم له، مما تعنيه عبارة "وهم صاغرون".

---

(1) "البيان والتبيين" للجاحظ، ج 2، ص 46 (ت عبد السلام هارون - ط الثانية 1380هـ / 1961م). وانظر "تاريخ الأمم والملوك" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 3، ص 265 (ط الاستقامة - القاهرة 1357هـ / 1939م). وانظر كذلك "صحيح البخاري" في باب الجهاد.

(2) سورة التوبة، الآية 29.

ومعروف - لمزيد توضيح هذه الآية الكريمة - أن اسم الجزية «مشتق من الجزاء فيجب على أولي الأمر أن يضعوا الجزية على رقاب من دخل الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام ويلتزم لهم ببذلها بحقين : أحدهما الكف عنهم، والثاني الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين»[1].

ومعروف كذلك أن «... عقد الجزية موجب لعصمة الدماء وصيانة الأموال والأعراض إلى غير ذلك مما يترتب عليه...» فإن عقد الذمة عاصم للدماء كالإسلام، وقد ألزم الله تعالى المسلم جميع التكاليف في عقد إسلامه، كما ألزم الذمي جملة هذه الشروط في عقد أمانه... إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله، صلى الله عليه وسلم، ودين الإسلام. فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام...»[2].

على أن **الجزية تسقط في حالتين اثنتين** :

1. **الضعف والفقر**، إذ أكد الفقهاء أنه «إن كان أقر أخذت منه أو لعسر فلا تؤخذ، ولا تثبت في ذمته بالعجز لأن الفقير لا جزية عليه»[3]. وقد روي أن عمر بن الخطاب مر على باب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عمر عضده من خلفه وقال : «من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي. قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل

---

(1) "الأحكام السلطانية" للماوردي، ص 127-128.

(2) "الفروق" لشهاب الدين أبي العباس القرافي، ج 3، ص 11-14 (ط دار المعرفة - بيروت).

(3) "الذخيرة" للقرافي، ج 3، ص 454 (ت محمد بوخبزة - ط دار الغرب الإسلامي).

الجزية... فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم. إنما الصدقات للفقراء والمساكين، وهذا من مساكين أهل الكتاب. ووضع الجزية عنه وعن ضربائه»[1].

وورد في كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة: «وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام»[2].

2. **مشاركة غير المسلمين في التزامات الدفاع والجهاد،** على أن يكون الأمر من قبيل التطوع، كما كان في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذ لم يثبت عنه أنه زج بغير المسلم في حرب، كما لم يثبت أنه منع غير المسلم مشاركة المسلمين في الجهاد، إلا في حالة خاصة ستوضح بعد.

وترك الأمر للتطوع أساسي في هذا الشأن، لما قد يمس الشعور الديني للمواطن غير المسلم في بعض الظروف التي قد تفرض على المسلمين مواجهة خصوم لهم من ديانة قد تكون هي ديانة هذا المواطن.

وإذا كان الفقهاء المسلمون يكرهون الاستعانة في الغزو بكافر، اعتماداً على ما ورد في الحديث الذي قال فيه رسول الله، عليه الصلاة والسلام: «فلن أستعين بمشرك»[3]،

---

(1) انظر كتاب "الخراج" لأبي يوسف، ص 70.
(2) المصدر نفسه.
(3) رواه مسلم عن عائشة في آخر كتاب الجهاد والسير.

رداً على المشرك الذي جاءه يريد المشاركة في غزوة بدر ؛ فمرد هذه الكراهة إلى ما يفهم من الموقف النبوي «أنه، عليه الصلاة والسلام، تفرس فيه الإسلام فمنعه»[1]. أما في غير هذه الحال فيستعان به «لأنه، عليه الصلاة والسلام استعان بأهل الكتاب على عبدة الأوثان»[2].

وقد وقع في تاريخ المسلمين ما أكد الاهتداء بهذه السنة، على نحو ما حدث بعد أن فتح أبو عبيدة أنطاكية، إذ ولى عليها حبيب بن مسلمة فغزا الجرجومة، وهي مدينة على جبل اللكام المشرف على أنطاكية «فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام، وأن لا يوخذوا بالجزية، وأن ينقلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم»[3]. ومثله ما حدث بين القائد عبد الرحمن بن ربيعة حين وصل إلى الباب من بلاد الترك وملكها شهريار ذي الأصل الفارسي، إذ كاتبه هذا الأخير واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فأتاه، فقال : «إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول. وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان. ولست من القبج في شيء ولا من الأرمن، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصغوي معكم وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون... فقال عبد الرحمن : فوقي رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه، فسار إلى سراقة فلقيه بمثل ذلك. فقال سراقة : قد قبلت ذلك... وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه»[4].

(1) "الذخيرة" للقرافي، ج 3، ص 406.
(2) نفسه.
(3) "فتوح البلدان" للبلاذري، ص 246.
(4) "تاريخ الطبري، ج 3، ص 236.

على هذا النحو عاش المسلمون مع غيرهم ممن يخالفونهم في العقيدة ولكنهم يشاركونهم الحياة المجتمعية، في رابطة إنسانية نابعة من الإسلام الذي لم يجد غضاضة في احتضان الديانات التي تؤمن بمبدأ التوحيد، والتي يمكنها من هذا المبدأ أن ترفد جميع العناصر التي تربط الأمة بعضها إلى بعض، وتغني شخصيتها باستمرار في التحام وثيق بين الوطن والدين.

والإنسان هو المنطلق في هذه الرابطة الإنسية، باعتباره مجموعة من القدرات والطاقات هي التي تشكل ملامح بشريته، وتبث فيه الإحساس بالوجود في ذاته ومع الآخرين، وتمنحه إمكانية العمل والإنتاج ووسائل الفعالية والتأثير.

ولاشك أن من بين تلك الطاقات، وربما من أهمها، ما هو كامن في غريزة الإنسان من حيث هو مخلوق ينتمي إلى أرض محددة يتحرك فيها بوعي منه أو لاوعي، ويحاول انطلاقاً منها أن يحافظ على ذاته وينمي هذه الذات.

وإذا كانت الطبيعة الفطرية تمكن للإنسان في الأرض التي يعيش عليها ببعد أفقي مسطح، فإن العنصر الروحي يتدخل ليرتفع بالإنسان عن طريق العقيدة والدين، ويعطيه بعداً سماوياً يتيح له التوازن اللازم للحياة الإنسانية الحق، بكل ما تقتضي من قيم وأخلاق فردية وجماعية، وما تتطلب من سلوك يحفظ علاقة الفرد بالكون وخالقه.

ومع الغريزة والروح، يتدخل العقل ليعمل في الوعي والإحساس والإرادة والفكر، فيوجه ويخطط وينفذ ويضبط حركية الإنسان. وهذا ما يعطي المواطنة مفهومها الصحيح، أي كما يجب أن تكون في ذهن المسلمين وغيرهم ممن يعيشون في دولة الإسلام.

ويتبلور المفهوم في الولاء لهذه الدولة بكل ما تجسده من أرض وعقيدة وتاريخ وحضارة وثقافة وواقع ومصير، أي بمجموعة من المبادئ والمقومات يؤمن بها الجميع ويتشربها في عقله وروحه ووجدانه، فتغدو المحرك الذي يحث على المقاومة والنضال، وعلى السعي لتنمية المجتمع في خط التطور والتقدم. وهذه لاشك مواطنة شريفة ومسؤولة تستمد شرفها ومسؤوليتها من تكريم الله للإنسان على نحو ما مر.

إن الإسلام يوفر لغير المسلم في المجتمع الإسلامي وجوداً اندماجياً يحافظ فيه على جميع مكونات شخصيته، وفي طليعتها المكون الديني وما يرتبط به من ممارسات وعادات بها يؤكد ذاته عقدياً وثقافياً ونفسياً، ومعها يثبت خصوصيات هويته داخل المقومات العامة لهذه الهوية التي بها تكون المواطنة، مما يتحقق به الانتماء إلى ذلك المجتمع. وهو انتماء يدخل فيما يخول - حسب المفهوم المعاصر - حق الجنسية إن لم يكن يتعداها، باعتبارها الإطار القانوني الذي يعطي للشخص حالته السياسية، والذي يمنح صفة المواطنة لهذا الشخص وعضويته في نطاق الدولة التي منحته إياها، فيعد أحد الأفراد المكونين لشعبها، ويصبح مواطناً أو وطنياً، في مقابل الأجنبي الذي لا يتمتع بهذه الجنسية، بغض النظر عن الأسباب التي بها يكتسب هذا الحق، إن كانت الولادة أو الدم أو الإقامة أو ما إليها مما تخضع له اليوم قوانين الجنسية في مختلف بلدان العالم.

ويبقى بعد هذا تعايش المسلمين مع غيرهم من الذين ينتمون لمجتمعات أخرى مخالفة لهم، ويظهر في السلم[1]، وهو الصلح

---

(1) بكسر السين وفتحها.

والسلامة وضد الحرب. وقد وردت اللفظة باشتقاقات كثيرة في عدة مواطن من القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾[1]، مع ملاحظة أن اتباع الدعوة إلى الدخول في السلم بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان يعني أن عكس السلم - أي الحرب - هي من إيعاز الشيطان ؛ وكقوله عز وجل : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾[2] أي وإن مالوا إلى السلم عن رغبة صادقة وإيمان حق.

ويكفي لإبراز أهمية السلم في الإسلام أن نعرف أن لفظ الإسلام نفسه مشتق منه، إذ هو يعني الانقياد لأمر الله والإخلاص لعبوديته وعبادته، ويطلق عليه السلم.

كذلك **يكفي أن نعرف أن السلام من أسماء الله الحسنى،** يقول الحق سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ﴾[3]. وربما كان أصل التسمية كامناً في هذا المعنى السلمي الذي نتحدث عنه، وكذا في سلامته عز وجل من النقص والعيب، ومما يلحق الغير من آفات مثل الفناء.

ثم إنه عز وجل يدعو إلى دار السلام على حد قوله : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾[4]، والمقصود دار الأمن والاستقرار والطمأنينة والسعادة، وإن ذهب بعض المفسرين إلى أن دار السلام هي الجنة.

ونضيف أننا نعلن السلام في تشهد جميع الصلوات، وأننا نتبادل التحية بنفس السلام. ففي الحديث النبوي أن رسول الله، صلى

(1) سورة البقرة، الآية 206.
(2) سورة الأنفال، الآية 62.
(3) سورة الحشر، الآية 23.
(4) سورة يونس، الآية 25.

الله عليه وسلم، قال : «لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا، ولا تومنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

والسلم - في مفهوم الدين الحنيف - لا يعني الاستسلام أو التنازل أو الضعف، ولكن يعني أخذ الحق وتبادل العلاقات والمصالح على أساس المساواة والمعاملة بالمثل، وعلى أساس عهود ومواثيق تكون ملزمة لجميع الأطراف، على نحو ما سنبين بعد.

وإن المتأمل في **دعوة الإسلام إلى السلم** يجدها **راجعة إلى مبادئ ثلاثة** :

1. **مبدأ التعايش** بين المجتمعات الإنسانية التي هي - لاختلافها الذي يمس الرؤى والمكونات والمصالح بما قد يصل إلى التنافر - تحتاج إلى نسق لقيامها يحقق الحد الأدنى لتبادل الخدمات والتعاون من أجلها. ولعل من أهم معالم هذا النسق : التعارف الذي تحدث عنه القرآن الكريم في الآية التي سبقت الإشارة إليها، وهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[2].
2. مبدأ يؤكد أن **التعايش ينبغي أن يقوم على الحوار** الذي هو في الإسلام حوار معرفي يهدف إلى تبادل التعارف ووجهات النظر لحل المشكلات، وليس إلى التقابل الجدلي العنيف والمناظرة التي تقصد إلى الغلبة والإفحام. يقول

---

(1) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

(2) سورة الحجرات، الآية 13.

تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾[1]. ويقول سبحانه ـ وفق ما سبق ـ : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾[2].

3. مبدأ كامن في **تنبيه القرآن الكريم إلى ضرورة تجنب الخصومات والنزاعات وما قد تؤدي إليه من خسران**.
يقول الله عز وجل في ذكر قصة ابني آدم، عليه السلام، عندما قتل قابيل أخاه هابيل، بسبب الحسد الناشئ عن قبول قربان أحدهما دون الآخر : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾[3]. والنزاعات تؤدي إلى فتن قد تعصف بكل شيء. ولهذا يقول تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[4] ويقول : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[5].

---

(1) سورة النحل، الآية 125.
(2) سورة العنكبوت، الآية 46.
(3) سورة المائدة، الآية 32.
(4) سورة الأنفال، الآية 25.
(5) سورة الأنفال، الآية 47.

هنا تثار **قضية كثيراً ما يساء فهمها، وهي دعوة الإسلام للجهاد**[1] ولتوضيحها نود أن نثير ثلاثة أمور.

الأول :

أن الإسلام يرفض القتال لإرغام المخالفين في الدين على اعتناقه وإكراههم عليه. يقول سبحانه في آية سبقت الإشارة إليها : ﴿ لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾[2].

الثاني :

أن **دعوة الإسلام للسلم لا تعني قبول العدوان والطغيان**، والسكوت عن الشر والباطل، والاستسلام للظلم والفساد، أو ما إلى ذلك مما هو طعن في الحياة البشرية التي أقام الله شريعتها على أساس التعارف والتسامح والتعايش والتساكن.

الثالث :

أن الإسلام بهذه الشريعة يعتبر **الأصل هو الجنوح إلى السلم وعدم اللجوء إلى الحرب إلا عند الضرورة**، بدليل أن رسول الله،

---

(1) سبق للكاتب أن تناول هذا الموضوع في بحثين :

1. مدرسة محمد الخامس في سياق الفكر السياسي المغربي من خلال ظاهرة الجنوح للسلم (منشور ضمن أعمال المدرسة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد ابتداء من ص 471، وهي من تنظيم جمعية رباط الفتح - 16-20 نوفمبر 1987م، ومنشور كذلك في كتاب : "معالم مغربية ابتداء من ص 25 ط الأولى - الرباط 1411هـ / 1991م).

2. L'Islam, Religion de paix et de Jihad وهو بحث كان الكاتب قد شارك به في ندوة دولية نظمها بمدينة نيس الفرنسية يومي 13-14 ديسمبر 1990 معهد قانون السلم والتنمية بالاشتراك مع اليونسكو في موضوع : Religions et guerre وبهذا العنوان صدرت أعمال الندوة بعناية الناشرين : Ed. Universitaires et ed. Mame

(2) سورة البقرة، الآية 255.

صلى الله عليه وسلم، نهى المسلمين عن تمني القتال، ودعاهم إلى الثبات عند الاضطرار إليه، حين قال : « لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاثبتوا واذكروا الله كثيراً »[1]. ومن ثم فهو يعتبر الحرب خرقاً للسلام وجريمة، ما لم تدع إليها حالات معينة تبيحها وتكون فيها عادلة ومشروعة. وهذا هو ما اتفقت عليه مختلف المواثيق الدولية الحديثة والمعاصرة التي يكفي أن نذكر منها "ميثاق الأمم المتحدة" الذي حث الدول على التوسل بالطرق السلمية لحل ما بينها من نزاع، ومنع استعمال القوة والتهديد، حفاظاً على السلم والأمن والعدل الدولي. وهذا ما جعله يحرم الحرب إلا في حالة الدفاع الشرعي الذي حددته المادة الحادية والخمسون حين نصت على أنه « ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسها إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة. وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي ».

لهذا، فإن **الإسلام يحث على قيام الجهود لرد كل مظاهر خرق طبيعة تلك الشريعة، وللدفاع عن مقوماتها السوية**، بدءاً من الدفاع عن النفس فيما يمس الفرد وأهله وماله، إلى الدفاع عن المجتمع والوطن والعقيدة، حفاظاً على الحرمات حتى لا تنهك، وحماية للذات الخاصة والعامة من أن تداس أو تهان.

وإذا كان خصوم الإسلام قد نظروا إلى الجهاد باعتباره حرباً مقدسة تثير الفزع والرعب في نفوس غير المسلمين، فإن حقيقة الجهاد في السياق الإسلامي تجعله رديف الحرب والقتال بهدف الدفاع عن النفس والحق والدين.

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

ولهذا كانت مخاطبة به الأمة من حيث هي أمة دعوة ودولة. وهو لا يعني أنه دين الحرب والسيف كما فهمه بعض المفكرين الخصوم، وحتى بعض المدافعين الذين يظنون أنهم بهذا القول يدفعون إلى الأخذ بما يبعد عنه الضعف ويقوي جانبه. ولو كان كذلك - أي دين الحرب والسيف - لانتهى أمره بمجرد انتهاء عظمة دولته، ولما استمر حياً باقياً في النفوس.

وهم بهذا الزعم غالباً ما **يقارنونه بالمسيحية** التي شاع عنها أنها دين العفو والتسامح، وأنها تحرم الحرب ؛ في حين أنها ليست كذلك، أي أنها - كالإسلام - تلجأ إلى السيف عند الحاجة. **فمن أقوال المسيح عليه السلام في إنجيل متى : «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً»**[1]. **ومن أقواله في إنجيل لوقا، وقد سأل أصحابه : «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء ؟ فقالوا : لا، فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوباً ويشتر سيفاً»**[2].

ثم إن الجهاد في الإسلام ذو أبعاد ومراحل تشمل العمل السياسي وإنفاق المال، وما إلى ذلك مما يتوسل به في استرداد الحق ورد الاعتداء وحفظ الكرامة. بل إن جهاد النفس ضد الشهوات والنزوات والأطماع والأهواء يعتبر أعلى مراحل الجهاد أو "الجهاد الأكبر" كما سماه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين قال : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ أجاب، صلوات الله وسلامه عليه : جهاد القلب أو جهاد النفس»[3].

---

(1) الإصحاح العاشر، الآية 34.
(2) الإصحاح الثاني والعشرون، الآيتان 35-36.
(3) رواه البيهقي عن جابر بن عبد الله.

والجهاد من المنظور الإسلامي يكون بالقلب وباللسان، ثم يكون بالمال وبالنفس. ولا يذكر الجهاد بالنفس إلا مقروناً إلى الجهاد بالمال، يقول الله عز وجل: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾(1).

ولعل **الآية الأولى التي شرعت الجهاد ربطته بدفع الظلم**، وهي قوله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾(2). ومعناه مقدر فيه محذوف هو القتال أي إذن القتال. ويؤكد هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾(3).

من أجل هذا، عظم الإسلام أمر الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، واعتبره أفضل من الحج والعمرة ومن كل تطوع، صلاة كان أم صياماً. ويكفي لإبراز هذه القيمة أن نقرأ قول الله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المومنين ﴾(4). وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ذروة سنام الإسلام الجهاد في

---

(1) سورة التوبة، الآية 41.

(2) سورة الحج، الآيتان 37-38.

(3) سورة البقرة، الآية 214.

(4) سورة الصف، الآيات 10-13.

سبيل الله»[1] وقال، عليه الصلاة والسلام : «عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»[2]. وقال، صلوات الله وسلامه عليه : «من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة صامها وقامها»[3].

ومع ذلك، **حين تضطر الدولة الإسلامية إلى الحرب**، فإن لهذه الحرب قوانين وشروطاً وأحكاماً وآداباً مثالية إنسانية تضبطها، على حد قول الرسول، صلى الله عليه وسلم : «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، **اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً**»[4]، وقوله، صلى الله عليه وسلم : «اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان **ولا أصحاب الصوامع**»[5]، وقوله كذلك، عليه الصلاة والسلام : «**لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة**»[6].

وتشمل هذه الضوابط ما بعد الحرب مما يتعلق بالأسرى، ويلخصه قول النبي الكريم : «أنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة»[7]. وهذا باب واسع فصل القول فيه فقهاء الإسلام[8].

وعلى هذا النهج النبوي سار الخلفاء الراشدون من بعده، وأولهم أبو بكر الصديق الذي أوصى يزيد بن أبي سفيان قائد جيش

---

(1) رواه ابن حنبل عن معاذ بن جبل.

(2) رواه الترمذي والنسائي عن ابن عباس.

(3) رواه ابن ماجة عن عثمان بن عفان.

(4) رواه ابن حنبل عن أبي سليمان بن بريرة.

(5) رواه ابن حنبل عن ابن عباس.

(6) رواه أبو داود عن أنس.

(7) ذكره ابن سعد في طبقاته عن مجاهد. وشبيه به في مسند ابن حنبل عن أبي موسى، وكذا عند الطبراني في الكبير.

(8) كابن تيمية في كتابه "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية"، وهو مطبوع عدة مرات، منها طبعة دار الآفاق الجديدة - المغرب 1414هـ/1991م.

الشام بقوله: «... إني أوصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن»[1].

وغني عن البيان أن **الدولة الإسلامية في حال السلم تقيم علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية، وتكون لها مبادلات على أساس المساواة والمعاملة بالمثل**، والمحافظة على المصالح المشتركة، والتعاون من أجل استمرارها، مما تحدده المعاهدات والمواثيق التي يحث القرآن الكريم على التزامها، كما في قوله تعالى: ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾[2]. ويظل الالتزام قائماً ما لم ينقض الطرف المعاهد الميثاق فيتبرأ منه في هذه الحالة، وفق ما فعل الرسول، عليه الصلاة والسلام، مع المشركين الذين قال فيهم عز وجل: ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾[3]. وقد استثنى منهم المحافظين على العهد في قوله الكريم: ﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ﴾[4]. وقد وصل أمر الالتزام بالعهود والمواثيق حداً جعل النبي، عليه الصلاة والسلام، يرد من جاء من المشركين مسلماً بغير إذن وليه، وفق ما أثبته صلح الحديبية.

---

(1) رواه مالك عن يحيى بن سعيد. انظر: "تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك" للسيوطي، ج 2، ص6-7.

(2) سورة النحل، الآية 91.

(3) سورة التوبة، الآية 1.

(4) سورة التوبة، الآية 4.

ذلكم هو التعايش الحق كما تفرد به الإسلام، حاولنا في هذا البحث المحدود عرض أبرز ملامحه. وإنه ليس بدعاً أن يكون الإسلام بهذا التفرد دين "التعايش" بإطلاق ؛ فهو آخر الأديان، أي كلمة الله الأخيرة. وهو بذلك الجوهر والينبوع المحتوي لبقية العقائد السماوية والمظل لها، ثم إنه يزيد عليها بكونه - انطلاقاً من العقيدة - أقام دولة عاش في كنفها المسلمون وغيرهم، وعاشت هي في علاقات مع غيرها أساسها التعارف، مما جعل ويجعل للإسلام رسالة تبدأ من التوحيد وتنتهي بالدعوة إلى الوحدة التي يتعايش داخلها كل البشر، تحقيقاً للعدل والمساواة والحرية والطمأنينة والسعادة والكرامة، بعيداً عن أي لون من ألوان التمزق والتشتت، وفي منأى عن أي مظهر من مظاهر الطبقية والطائفية، أو العصبية والعنصرية.

وفي هذا السياق يفهم قوله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. لكل جعلنا منكم شرعاً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[1].

وإن تأمل هذه الآية الكريمة ليفضي إلى فهم "التصديق" باعتباره دعوة للإقرار بالديانات السماوية وإن ارتبطت تعاليمها بفترات سالفة كانت لها ظروف ومقتضيات، ويفضي كذلك إلى وضع "الهيمنة" في نطاق المراقبة ورصد ما تتعرض له تلك الديانات من تحريف عن أصلها الحق، وبالتالي تثبيت ما استمر منها صالحاً غير مزيف ولا مشوب، وينتهي الأمر إلى إدراك أن مخالفة "الشرعة"

---

(1) سورة المائدة، الآية 50.

مرتبطة بالأحكام التي جاءت بها مختلف الأديان، والتي تطورت حسب الأحوال، إلى أن جاء الإسلام بصيغة لها جديدة هي الأجدى بالاتباع. وهذا لا يعني مخالفة روح الشرائع من حيث هي عقائد سماوية توحيدية، يقول عز وجل: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾(1).

انطلاقاً من هذه الحقيقة التي يكمن فيها جوهر الذهنية الإسلامية، تسنى للمسلمين أن يحققوا "التعايش" مع أنفسهم، ومع مخالفيهم في الدين من الذين يشاركونهم المواطنة، وكذا مع الشعوب والدول الأجنبية التي أقاموا معها أواصر وعلاقات، وتبادلوا معها مصالح ومنافع.

وقد أتيح لهم بهذا "التعايش" في بعديه، أن يؤسسوا مجتمعاً راقياً في تنظيماته الداخلية وارتباطاته الخارجية، وأتيح لهم كذلك أن ينشئوا حضارة وثقافة أقاموا دعائمها على منظور الإسلام للمعرفة والحياة، وعلى قيمه ومقوماته؛ مما بدا في جميع الميادين التي خاضوا غمارها، سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وفكرية، وتجلى في النظم التي ضبطت شؤونهم في حال السلم والحرب، وكذا في القوانين التي احتكموا إليها حتى في علاقاتهم المعاشية مع الآخرين.

وكانت للرؤية الشمولية التي طبعت هذه الحضارة والثقافة أكبر الأثر في ازدهارهما، على أساس من الثنائيات المتناسقة التي تيسرت لهما في فروعهما كافة، على غرار الجمع بين الغيبي

---

(1) سورة الشورى، الآية 11.

والمحسوس، والروحي والمادي، والديني والدنيوي، والفردي والجماعي، والخاص والعام، والممتع والنافع.

وما كان لهذا الازدهار أن يثمر ويشع ويبلور إنسانية الحضارة والثقافة الإسلاميتين، لولا قدرة على الانفتاح تتجاوز كل عائق أو حاجز ؛ وتتمثل في التركيز على الإسلام، وليس على جنس الداخلين فيه، مع قبول غير المسلمين في ساحة المناظرة والحوار، وميدان الأخذ والعطاء، بعيداً عن الزمان والمكان وما قد يترتب عليهما من نزعات قبلية ونعرات إقليمية، في استفادة من كل تنوع وتعدد، وفي حل جذري لإشكالية الذات والآخر، ومعها إشكالية التراث والمعاصرة في مظاهرها عامة. وتتمثل كذلك في الاستقرار الناشئ عن التعايش والتساكن في ميل للتسامح وجنوح للسلم، مما كان له أعمق التأثير على تطور الفكر ورقي الحياة.

تحفزاً من هذه القدرة، أمكن للثقافة والحضارة اللتين أبدعهما المسلمون أن تتفاعلا، محافظتين على توازن لم يفقدهما شيئاً من دعائمهما ومعالمهما، وكذا مفرداتهما وخصوصياتهما التي كانت تتسع وتزيد كلما أمكنهما أن تحتكا وتتلاقحا ؛ كما لم يفقد الأطراف المتفاعلة معهما ما تتميز به من ملامح أدمجتها في البوتقة الإسلامية الجامعة أو جعلتها داخلها تتعايش وتتناسق.

وإذا كان المسلمون قد عاشوا على امتداد العصور المتأخرة تحولات ألقت بسلبيات كثيرة عانوها في حياتهم وعلاقاتهم ومازالوا، فإن روح التسامح مازال نابضاً بها عرق الحياة ولم تفتر قط، على الرغم من كل عوامل التشويه والاضطراب التي تحاول كتمه أو خنقه الصادرة من خصوم الإسلام، وحتى من بعض المنتسبين إليه. وإن هذه الروح لفي أمس الحاجة إلى أن تبعث لدى جميع

الأطراف صافية نقية من خلال إيمان متبادل بالإسلام وثقة في الذات وفي الآخر، وعبر نظر متفائل إلى الحياة والمستقبل، وعلى أساس اعتبار المتحلي بهذه الصفات مسؤولاً وصاحب رسالة ينبغي أن يعمل من أجلها لنفسه وللإنسانية، مستفيداً من القيم الدينية الخالدة وما تولد عنها من تراث، ومستفيداً كذلك من ثقافة العصر العلمية المتطورة، في حرص جاد على تلافي العيوب والأخطاء التي وقعت فيها الحضارة الراهنة، وعلى معالجة الأمراض التي أفرزتها وجهتها المادية الصرفة. وهي أمانة لا شك أن البشرية جمعاء تتوق إلى من يحملها ويبشر بها، صوناً لوجود الإنسان وبيئته وأمانته من دمار موشك محدق.

وهنا يجدر استحضار كلمة التوحيد التي دعت إليها الديانات السماوية المختلفة، والتي تبناها الإسلام وأكملها، فتجاوز كل عوامل الاختلاف والنزاع والصراع، بتسامحه وسعة آفاقه، وقدرته الفائقة على الهضم والامتصاص ولم المنضوين في ظله حتى من غير المسلمين، ينظرون لأنفسهم وللآخرين وللكون من حولهم برؤية شمولية واضحة تتيح التعايش في نطاق التسامح والتساكن وتبادل المصالح والمنافع في أخذ وعطاء دائمين، مما لا تتحقق جدواه إلا انطلاقاً من التعدد والتنوع، وما ينشأ عنهما من خصوصيات وتميزات ينتهي بها التفاعل إلى الائتلاف والانسجام والتوازن الاجتماعي بين البشر كافة، ويجمعها المدلول الرحب الذي عبر عنه القرآن الكريم بالتعارف(1) ويمكن القول بأنه يعني ما يعبر عنه اليوم بالتعايش، وإن كان أعمق منه دلالة، لما يتضمن من جانب معرفي متشعب الأبعاد، يتجاوز مجرد ظاهر العيش المشترك.

---

(1) انظر بحثاً للكاتب بعنوان: "الثقافة الإسلامية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى ماضياً وحاضراً" قدمه للندوة التي نظمتها أكاديمية المملكة المغربية في موضوع "الثقافة الإسلامية بين الأخذ والعطاء" يومي 26 و27 جمادى الأولى 1412هـ الموافق 4 و5 دجنبر 1991م. وهو منشور مع أعمال هذه الندوة ضمن مطبوعات الأكاديمية.

وإنه ما كان لهذا التعارف أن يتحقق لولا التسامح الذي هو كذلك من مميزات الإسلام، والذي يدل بدون أدنى شك على الطاقة الانفتاحية التي تتوافر عليها حنيفيتنا السمحة، بدءاً من نسيان الفوارق الدينية إلى تجاوز الممارسات الخاطئة التي واجهت المسلمين صادرة من غيرهم، ومازالت تواجههم بقوة وعنف.

وإن أي تعايش ينادى به اليوم، ينبغي أن يرتبط بالانفتاح الذي غدا سمة العصر، بعد أن اختصرت المسافات، وتقاربت الحضارات، وتكامل الاقتصاد، ومدت الجسور الثقافية بين مختلف الشعوب.

لقد أصبح العالم يفك كل ألوان الانغلاق والانحصار أو هو يسعى إلى ذلك، فاتجه إلى إجراء الحوار بين شتى أطرافه، حتى ما كان من هذه الأطراف متعارضاً ومتصادماً أو متحارباً في السابق. ومن ثم فتح باب هذا الحوار بين الأديان السماوية، لا سيما بين الإسلام والمسيحية، وكذا مع اليهودية التي لا شك أن الحوار معها سيثمر إذا استعاد الشعب الفلسطيني جميع حقوقه المغتصبة، وتم تحرير الأراضي العربية المحتلة، وتحقق السلام الشامل الذي بدأت أولى بوادره.

إن الانفتاح استعداد نفسي يعني في أولى مراحله وأبسطها الرغبة في الاقتباس والقدرة عليه، أقصد الاقتباس مما هو عند الآخر في تقدير له وتسامح معه؛ وينبغي أن يكون في اتجاهين حتى يتيح الأخذ والعطاء في نطاق المتميزات الذاتية والخصوصية لكل طرف.

ولهذا، فإنه **لا انفتاح ولا حوار، وبالتالي لا تعايش بدون كيان شخصي وهوية خاصة، أي بدون المحافظة عليهما، مما يقتضي عدم التنازل عنهما - وفي طليعتهما الدين -**؛ وإلا فلا

يكون انفتاح ولا يكون حوار ولا يكون تعايش، وإنما تكون الهيمنة والتسلط وما قد يؤديان إليه من تحلل وذوبان، أو اضطراب ونزاع، على نحو ما تعانيه الأقليات الإسلامية اليوم في بلاد غير المسلمين، وكذا على نحو ما يراد فرضه في بعض البلاد الإسلامية.

والإلحاح على مثل هذا **الحوار راجع إلى أمرين** :

<u>الأول</u> : لتحقيق المزيد من التفاهم المفضي إلى التعايش.

<u>الثاني</u> : لتقوية الإيمان بالله في النفوس، خاصة بعد أن طغت المادية وتفشت قيمها مسيطرة على الشباب في جميع أنحاء العالم.

والسبب أن الإيمان بالله هو مجال الاتصال والالتقاء، لارتباطه بالفطرة، مصداقاً لقوله تعالى كما سلف : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1].

والسبب كذلك أن للإيمان في الإسلام معنى شمولياً ينبغي أن نعيه ونبشر به، وهو القابل للحوار. يقول عز وجل في الآية التي سبق استحضارها في مقدمة هذا البحث : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[2].

ويقول الرسول الكريم، صلوات الله عليه : «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون ؛ هل وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيئين»[3].

---

(1) سورة الروم، الآية 29.

(2) سورة البقرة، الآية 284.

(3) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

ثم إن كلمة "الإسلام" في مدلولها الواسع تفيد هذه الشمولية في الإيمان، على حد ما قال إبراهيم وإسماعيل بعد أن رفعا قواعد البيت كما في قوله تعالى : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾[1]. وغير خاف أن سيدنا إبراهيم هو الذي سمانا مسلمين، يقول تعالى : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾[2].

وهذا المعنى العام يتكامل مع المعنى الخاص الذي يجعل الإسلام هو الدين الذي جاء به سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم. **وصدق الله العظيم إذ يقول** : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[3].

(1) سورة البقرة، الآية 127.

(2) سورة الحج، الآية 76.

(3) سورة المائدة، الآية 4.

مراجع البحث ومصادره

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد) ط. جمعية التوراة الأمريكانية.

- **الأحكام السلطانية**

أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق محمد بدر النعساني الحلبي، نشر الخانجي - مصر - 1327هـ / 1909م.

- **الأحكام السلطانية**

محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، تحقيق محمد حامد الفقي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - 1403هـ / 1983م.

- **بحوث مغربية في الفكر الإسلامي**

عباس الجراري، ط. الأولى - الرباط - 1406هـ / 1988م.

- **البيان والتبيين**

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط. الثانية 1380هـ / 1961م.

- **تاريخ الأمم والملوك**

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط. الاستقامة - القاهرة - 1357هـ / 1939م.

- **تاريخ بغداد**

أحمد بن علي بن عثمان البغدادي الخطيب، ط. مصر - 1349هـ / 1931م.

- **تسامح الإسلام مع الذات والآخر**

عباس الجراري، عرض مقدم للدورة الثالثة للجامعة الصيفية التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الدار البيضاء 4-5-6 شعبان 1414هـ الموافق 17-18-19 يناير 1994م.

- تنوير الحوالك على شرح موطإ مالك
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- الثقافة الإسلامية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى ماضياً وحاضراً
عباس الجراري، ضمن أعمال ندوة "الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية بين الأخذ والعطاء" منشورات أكاديمية المملكة المغربية - سلسلة الندوات - مكناس 26-27جمادى الأولى 1412هـ / 4-5 دجنبر 1991م.
- الجامع الصحيح
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بحاشية السندي، ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان
- الجامع الصحيح
أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط. دار الفكر - بيروت - لبنان.
- الخراج وصناعة الكتابة
قدامة بن جعفر، تحقيق محمد حسين الزبيدي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط. دار النشر للرشيد - العراق 1981م.
- الذخيرة
شهاب الدين أبو العباس القرافي، ج 3 تحقيق محمد بو خبزة، ط. دار الغرب الإسلامي.
- السنن
أبو عبد الرحمن بن شعيب، شرح السيوطي وحاشية السندي، ط. الأولى - دار الفكر - بيروت 1348هـ / 1930م.
- السنن الكبرى
أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط. دار الفكر.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية
تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة - المغرب - ط. الثانية 1411هـ / 1991م.

- صحيح الترمذي

محمد بن عيسى الترمذي، بشرح ابن العربي المالكي ط. الأولى - الأزهر - 1350هـ / 1931م.

- الطبقات الكبرى

محمد بن سعد الهاشمي البصري، ط. دار بيروت ودار صادر، بيروت 1376هـ/1957م.

- فتوح البلدان

أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ط. القاهرة 1318هـ.

- الفروق

شهاب الدين أبو العباس القرافي، ط. دار المعرفة - بيروت.

- كتاب الخراج

أبو يوسف يعقوب، ط. السلفية - مصر - 1347م

- كشف الخفا و مزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس

إسماعيل بن محمد العجلواني الجراحي، نشر مكتبة القدسي 1351هـ.

- المستدرك على الصحيحين

أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ومحمد أمين دمج - بيروت.

- المسلمون بين واقعية الحياة المتغيرة و مثالية القيم الدينية

عباس الجراري، مجلة الإحياء، العدد الثالث من السلسلة الجديدة - الرقم المسلسل 15. رابطة علماء المغرب - الرباط - المغرب.

- المسند

أحمد بن حنبل، نشر المكتب الإسلامي ودار صادر - بيروت

- المسند

أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي.

- مسند الشهاب

أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، ط بيروت.

- معالم مغربية

عباس الجراري، ط. الأولى - الرباط - 1411هـ / 1991م.

- المعجم الكبير

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلمي، ط. وزارة الأوقاف - العراق 1391هـ / 1979م.

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ط. بولاق - القاهرة 1270هـ.

- الميثاق

منظمة الأمم المتحدة، الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد، جمعية رباط الفتح - نوفمبر 1987م.

Religions et guerre

- Institut du Droit de la Paix et du Developpement de l'Université de Nice, Sophia Antipolis, avec collaboration de l'UNESCO. Mame et ed. Universitaires-France Septembre 1992.

- **Kachf Al Khafa' wa mouzil al abbass 'amma Ichtahara mina ahadith ala alisinati Annass** : Ismail Ibn Mohamad Al Ajlouni Al Jarahi, édition : Maktabat Al Qodsi, 1351 de l'hégire.

- **Al Mustadrak 'ala Assahihaïn** : Abou Abdallah Alhakem Aniissabouri. Un résumé de Al Hafidh Addhahabi se trouve à la marge, édition : Maktab Almattbu'at Al Islamiya, Alep, et Mohamed Amin, Beyrouth.

- **Al Muslimun bayna waqiiyat alhayat almutaghaïra wa mithaliyat al qiyam addiniya** : Abbas Al Jirari. Revue Al Ihyaa, 3è numéro de la nouvelle série, numéro de série : 15, édition : Rabittat Ulamaa Al Maghrib, Rabat, Maroc.

- **Al Musnad** : Ahmad Ibn Hanbal, édition : Al Maktab Al Islami et Dar Sadir, Beyrouth.

- **Al Musnad** : Abou Abdallah Mohamad Ibn Yazid Al Qazouini Ibn Maja, établi par Mohamad Fouad Abdel Baqi, Dar Ihyaa Aturath Al Arabi.

- **Musnad Achihab** : Abou Abdallah Mohamed Ibn Salama Al Qodaii, édition Beyrouth.

- **Maalim Maghribiya** : Abbas Al Jirari, 1re édition, Rabat, 1411/1991.

- **Al M'ujam Al Kabir** : Aboul Qassim Soulayman Ibn Ahmad Attabarani, commenté par Hamdi Assulami, édition du Ministère des Awqaf, Iraq, 1391/1979.

- **Al Mawaedh wal Iitibar fi Dhikr Al khutat wal Athar** : Taqii Eddin Ahmad Ibn Ali Al Maqrizi, édition : Boulaq, 1270 de l'hégire.

- **Al Mithaq** : Organisation des Nations Unies. Colloque international autour du thème Mohamed V le Roi Pionnier, organisé par l'association Ribat Al Fath.

- **Religions et Guerre** : Institut du Droit de la Paix et du Developpement de l'Université de Nice, Sophia Antipolis, avec la collaboration de l'UNESCO. Mame et éd. universitaires, France, septembre 1992.

- **Al Jamii Assahih** : Abou Abdallah Mohamed Ben Ismail Al Boukhari, commenté par Sindi, édition Dar Al Maarif, Beyrouth, Liban.

- **Al Jamii Assahih** : Abou Al Hassan Mouslim Ben Lhajjaj Al Qorachi Annissabouri, édition : Al Fikr, Beyrouth, Liban.

- **Al-Kharaj wa Sina'at al Kitaba** : Qudama Ibn Jaafar, commenté par Mohamed Hussein Al-Zabidi. Les éditions du Ministère de la Culture et de l'Information, édition : Dar Nachr irrachid, Iraq, 1981.

- **Adhakhira** : Chihab Eddin Abou Abbas Al Qarafi, t. 3, établi par Mohamad Bou Khobza, édition Dar Al Gharb Al Islami.

- **Assunan** : Abou Abderrahman Ibn Choaïb, expliqué par Assuyuti, commenté par Assindi, 1re édition : Dar Al Fikr, Beyrouty, 1348/1930.

- **Assunan Al Kubra** : Abou Bakr Ahmad Ibn Al Hassan Ibn Ali Al Bayhaqui, édition Dar Al Fikr.

- **Assiyassa Acharïya fi islah arraii wa raïya** : Taqi Eddin Abou Abbas Ahmed Ibn Taymiya, établi par une commission de la Renaissance du Patrimoine arabe, Dar Al Afaq Al Jadida, Maroc, 2e édition, 1411/1991.

- **Sahih Attirmidhi** : Mohamad Ibn Issa Atirmidhi, expliqué par Ibn Al Arabi Al Maliki, 1re édition, Al Azhar 1350/1931.

- **Attabaqat Al Kubra** : Mohamed Ibn Saad Alhachimi Alboussari, Dar Beyrouth et Dar Sadir, Beyrouth, 1376/1957.

- **Futuh Albuldan** : Ahmad Ibn Yahya Ibn Jabir Al Baladhri, édition le Caire, 1318 de l'hégire.

- **Al-Furuq** : Chihab Eddin Aboul Abbas Al Qarafi, édition Dar Al Maarif, Beyrouth.

- **Kitab Al Kharaj** : Abou Yussouf Yaaqoub, édition : Assalafiya, le Caire 1347 de l'hégire.

BIBLIOGRAPHIE

- **Le Coran.**

- **Al-Ahkam Al-Sultania :** Aboul Hassan Ibn Mohamed Al-Mawardi, commenté par Mohamed Badr Al-Naasarri Al-Halabi, édition : Al-Khanji, Egypte, 1327H/1909 J.-C.

- **Al-Ahkam Al-Sultanïa :** Mohamed Ibn-Hussein Al-Farra' Al-Hanbali, commenté par Mohamed Hamed Al-Féqui, édition : Dar Al Kutub Al Ilmiya, Beyrouth, 1403H/1983 J.-C.

- **Bouhouth maghribïa fi al fikr al islami :** Abbas El Jirari, 1re édition, Rabat, 1406H/1988 J.-C.

- **Al-Bayan Wal Tabyin :** Abou Othman 'Amr Ibn Badr Al-Jahir, commenté par Abdel Salam Haroun, 2e édition, 1380/1961 J.-C.

- **Tarikh Al Umam wal Muluk :** Abou Jaafar Mohamad Ibn Jarir Attabari, édition : Al Istiqama, le Caire.

- **Tarikh Baghdad :** Ahmad Ibn Othman Al Baghdadi Al Khatib, édition: le Caire, 1349/1931.

- **Tassamuh Al Islam maa adhat wal 'akhar :** Abbas Al Jirari exposé présenté pour la 3e session de l'université d'été, organisée par le ministère des Awqaf et des affaires islamiques, Casablanca, les 4-5-6 du mois de Chaaban 1414 correspondants aux 17-18-19 janvier 1994.

- **Tanwir Al hawalik 'ala Mowatta' Malik :** Jalal El Din Abderrahman Assuyuti, édition Dar Al Kitab, Beyrouth, Liban.

- **La Culture islamique et sa capacité de conciliation avec les autres cultures Madiyan wa hadiran :** Abbas Al Jirari, parmi les travaux du colloque : "Les échanges entre les cultures islamiques et occidentaux", édition de l'Académie du Royaume du Maroc, dans la série : Colloques, Meknès, 26-27 Jumada al awal 1412 / 4-5 décembre 1991.

musulmans».(116) Cette signification générale complète celle particulière qui fait que l'Islam est bien la religion révélée au Prophète Mohammed (P.S.). Cette vérité est justement précisée par le Coran même dans ce verset : ***«Aujourd'hui, j'ai mis le sceau et je vous ai comblé de la plénitude de Ma grâce et il M'a plu de vous donner l'Islam pour religion».***(117) *

---

116 - Sourate Le Pélerinage, verset 76.

117 - Sourate La Table Service, verset 4.

* NDT : Ont été utilisées pour la traduction des versets coraniques les traductions de R. Blachère et de Kazimirski.

selon la conception originelle qu'Allah a donné aux hommes! Nulle modification à la création d'Allah. C'est la religion immuable, mais la plupart des hommes ne savent point».(112)

La foi en Islam est un signifié entier et parfait en lui même. Il est de notre devoir de faire parvenir aux hommes cette vérité à cause de la qualité du dialogue qu'elle permet. Dieu dit dans un verset que nous avons déjà cité dans l'introduction de ce texte : «*Le Prophète croit en ce que le Seigneur lui a révélé. Les croyants croient en Dieu, à Ses anges, à Ses livres et à ses Envoyés. Ils disent : Nous ne mettons point de différence entre les Envoyés célestes, nous avons entendu et nous obéissons. Pardonne-nous nos péchés. O Seigneur, nous reviendrons tous à Toi».*(113)

De son côté, le prophète a dit : "*Mon cas, ainsi que celui des prophètes qui m'ont précédé, est semblable à un homme qui, voulant construire une maison, l'a conçue merveilleusement bien; mais a omis d'y placer une brique dans un coin de la demeure. Les gens, contemplant cette oeuvre, s'étonnent que cette brique ait été omise. Je suis cette brique là, je suis le sceau des prophètes*".(114)

Le mot Islam signifie cette foi intégrale proclamée par Abraham et Ismaël lorsqu'ils posèrent les fondations de la maison de Dieu : «*Fais, ô Seigneur (dirent-ils) que nous soyons résignés à Ta volonté (musulmans), que notre prospérité soit un peuple résigné à Toi (musulmans)».*(115)

Nous voyons bien que c'est le prophète Abraham qui nous a appelés "musulmans". Dieu dit : «*C'est lui qui vous a nommés*

---

112 - Sourate Les Romains, verset 29.

113 - Sourate La Génisse, verset 284.

114 - Rapporté par Boukhari et Muslim, d'après Abou Houraïra.

115 - Sourate La Génisse, verset 127.

désire-t-il. Il a alors recouru au dialogue entre les peuples, même entre ceux qui n'ont connu naguère que des conflits et des confrontations armées. Le dialogue entre les religions révélées a ainsi pu s'instaurer, surtout entre l'Islam et le Christianisme, mais aussi entre l'Islam et le Judaïsme, dialogue qui portera à coup sûr ses fruits, surtout si le peuple palestinien recouvre tous ses droits, si les territoires arabes occupés sont libérés et si la paix globale, dont nous apercevons déjà les effets bénéfiques, aboutit en fin de compte.

L'ouverture est une prédisposition personnelle qui nécessite tout d'abord la volonté et la capacité à emprunter en l'adaptant, dans un esprit de tolérance, ce que l'autre peut nous offrir, mais cet emprunt devrait avoir lieu dans le cadre d'un échange mutuel où les caractéristiques de chaque partie devront demeurer préservées.

C'est pourquoi, nulle ouverture, nul dialogue et, par conséquent, nulle coexistence ne sauraient se réaliser sans identité propre et, en premier lieu, l'identité religieuse qui ne peut, elle, souffrir aucun compromis. Autrement, nous aurions instauré le règne de l'hégémonie et de la domination ainsi que celui de la dissolution et de la désagrégation, à l'instar de ce que souffrent les minorités musulmanes à l'étranger et certaines nations islamiques.

Nous insistons sur la nécessité d'un tel dialogue pour deux raisons :

- Assurer une plus effective compréhension mutuelle à même de réaliser la coexistence,

- Consolider la foi en Dieu dans le coeur des êtres humains, surtout que notre siècle assiste à la prédominance du matérialisme et à la dissolution des valeurs chez les jeunes du monde entier.

La foi en Dieu constitue justement le point de rencontre des hommes, parce que en relation intime avec leur nature, comme Dieu le spécifie justement dans ces versets : «*Acquitte-toi du culte en "hanif"*

efficiente que si elle puise aussi ses moyens dans le savoir scientifique de ce siècle de progrès. Elle ne saurait aussi parvenir à ses fins que dans la mesure où elle réussit à éviter les erreurs du passé et tente d'apporter à ce siècle matérialiste les remèdes nécessaires.

C'est là, à coup sûr, une noble mission. L'humanité entière vit dans l'espoir de voir un jour quelqu'un en assumer la charge afin que l'être humain soit préservé dans sa sécurité et son environnement et qu'il soit mis à l'abri de la destruction qui le guette.

A ce propos, on ne peut qu'évoquer l'unicité à laquelle appellent les religions révélées, notion que l'Islam a adoptée et a parfaite, en écartant toute cause d'oppositions et de conflits dans un esprit de tolérance ouvrant de larges perspectives à l'homme. L'extraordinaire capacité de l'Islam à l'intégration et à l'assimilation des particularismes au sein de sa communauté permet au Musulman d'accéder à une perception claire tant de lui-même et de l'autre que de l'univers qui les entoure. Cette vision lui permet, en outre, de vivre selon le principe de la tolérance et d'oeuvrer dans l'intérêt de tous grâce à un dialogue continu qui ne peut aboutir que dans le cadre de la diversité et de la différence. Cela est tout à fait à propos avec le sens que le Coran donne au mot "ta'aruf", connaissance mutuelle qui englobe toutes les significations qu'on donne aujourd'hui au terme coexistence, sinon plus, vu l'aspect cognitif qu'il introduit et qui dépasse le simple fait de vivre ensemble.

L'Islam, en adoptant la vraie foi, celle d'Abraham, accepte les autres religions. Si aujourd'hui encore il continue à dépasser les manipulations dont il a été victime, et continue à l'être, c'est surtout grâce à son esprit d'ouverture.

Toute coexistence devrait être fondée sur une pareille ouverture d'esprit, car elle est devenue la valeur fondamentale de ce siècle où les distances se réduisent de plus en plus, les civilisations se rapprochent, les économies se complètent et où, enfin, les ponts sont jetés entre les peuples et leurs diverses cultures.

Le monde tente de plus en plus de briser les chaînes qui emprisonnent l'être humain dans son milieu étriqué, ou plutôt le

l'apparent et l'occulte, le spirituel et le matériel, le religieux et le temporel, le spécifique et le général, et enfin, l'utile et le superfétatoire.

Tout ce rayonnement n'aurait pu se cristalliser sans une aptitude à l'ouverture d'esprit enseignée par l'Islam et sans la participation de l'élément étranger au dialogue et à l'échange de points de vue, en dehors de toute contingence pouvant généralement engendrer des luttes tribales ou régionales. La cohabitation ainsi conçue permet, en effet, à tous les éléments de la communauté de tirer profit de la différence et de la diversité et de trouver des solutions définitives à la problématique du "moi" et de l'autre, ainsi qu'à celle de la tradition et de la modernité dans leurs aspects généraux. Il en a résulté également une stabilité sociale fondée sur l'acceptation de l'autre, qu'il soit concitoyen ou voisin, dans la tolérance et la recherche de la paix en vue de promouvoir progrès et développement

C'est à partir de cette aptitude à accepter l'autre que culture et civilisation en Islam n'ont pas cessé d'interférer et de s'auto-enrichir, dans un équilibre et une interaction parfaite entre les spécificités les plus opposées, formant ainsi ce bouquet haut en couleurs harmonieuses qu'est la communauté de l'Etat musulman.

Si les Musulmans ont connu ces derniers siècles des changements aux conséquences négatives sur leur développement et leurs relations avec les autres peuples, leur esprit de tolérance, lui, est resté intact et n'a jamais cessé de faire battre leurs coeurs en dépit de tous les facteurs de dénigrement et de tension que ne cessent d'imaginer les adversaires de l'Islam et, parfois, certains Musulmans eux-mêmes. C'est cet esprit que nous sommes appelés aujourd'hui à faire renaître grâce à une foi réelle en cette vertu, par une confiance partagée en soi et en l'autre, et à travers une vision optimiste du présent et de l'avenir. Dans la mesure où chaque détenteur de ces vertus est considéré comme responsable d'un message, celui-ci devrait oeuvrer à le transmettre pour son bien propre et celui de l'humanité afin que celle-ci bénéficie des valeurs éternelles de la religion et du merveilleux patrimoine qu'elle génère pour le bien de tous. Cette action, cependant, ne peut être

doctrines antérieures, mais en même temps une approbation pour ce qui n'y a pas subi d'altération. Quant à l'ordre : "Juge entre eux", cela rétablit les législations des gens du Livre qui, somme toute, n'ont fait qu'évoluer selon les contingences jusqu'à ce que l'Ecriture révélée à Mohammad (P.S.) vienne leur donner un aspect authentique et définitif. Ce qui ne saurait bien sûr signifier qu'on les rejette dans leur essence, puisque émanant de doctrines célestes qui prônent l'unicité. Dieu dit : «*Il a établi pour vous une religion qu'il recommanda à Noé, c'est celle qui t'est révélée, c'est celle que Nous avons recommandée à Abraham, à Moïse, à Jésus, en lui disant : - Observez cette religion et ne vous divisez pas en sectes*».[111]

C'est à partir de cette attitude, où réside l'essence même de la spiritualité de l'Islam, que les Musulmans ont pu concrétiser la coexistence tant avec leurs concitoyens non-musulmans qu'avec les peuples et les nations étrangères avec lesquels ils ont établi des relations et une coopération engendrant intérêts réciproques et utilité générale.

Grâce à cette coexistence, ils ont pu aussi instaurer une société à l'organisation interne et aux relations extérieures très développées, comme ils sont parvenus à fonder une civilisation et une culture ayant pour soubassement la perception que se fait l'Islam de la vie et de la connaissance, ainsi que des valeurs qui n'ont pas manqué de marquer les divers domaines auxquels ils se sont intéressés, aussi bien politiques et économiques que culturels et spirituels. Ces valeurs ont imprégné, en outre, le comportement musulman en temps de paix et en temps de guerre ainsi que les principes régissant la vie sociale des fidèles.

C'est cette vision globale qui se trouve à l'origine du rayonnement de la civilisation islamique, car ses éléments constitutifs cohérents permettent de rapprocher tout en les assemblant les contrastes, à savoir

---

111 - Sourate La Délibération, verset 11.

l'Islam est la religion de la tolérance et de la coexistence la plus totale et la plus parfaite, car elle est la dernière religion révélée aux êtres humains, c'est-à-dire les dernières paroles de Dieu. Elle constitue donc le noyau, la source et la quintessence des messages qui lui sont antérieurs. Elle se différencie aussi des autres religions par le fait qu'à partir de son dogme, elle a pu édifier un Etat au sein duquel ont vécu Musulmans et non- musulmans et une communauté qui a pu tisser des relations avec les autres nations sur la base de la connaissance mutuelle. Aussi, le message islamique commence-t-il par l'unicité de Dieu pour aboutir à l'union dans un monde qui garantit la justice et l'égalité, la liberté et la dignité, la sécurité et le bonheur, dans un monde ne souffrant aucun privilège de classe ou de race et rassemblant les conditions idéales pour la promotion d'un esprit évolué et d'une vie prospère, loin de tout chauvinisme et de tout racisme.

Rappelons à cet égard les paroles de Dieu où il est dit : «*Nous t'avons envoyé le Livre contenant la vérité, qui confirme les Ecritures qui l'ont précédé, et qui les met à l'abri de toute altération. Juge entre eux tous selon les commandements de Dieu, et garde-toi, en suivant leurs désirs, de t'éloigner de ce qui t'a été donné spécialement. Nous avons assigné à chacun de vous un code et une règle de conduite. Si Dieu l'avait voulu, Il aurait fait de vous un seul peuple; mais il a voulu éprouver votre fidélité à observer ce qu'Il vous a donné. Courez à l'envie les uns des autres vers les bonnes actions, vous retournez tous à Dieu; Il vous éclaircira Lui-même l'objet de vos différends*».[110] En méditant ces versets, on comprend que la confirmation des Ecritures antérieures est une reconnaissance des doctrines qui en ont émané, même si certains de leurs enseignements ont correspondu à des périodes antérieures déterminées par des situations particulières. On comprend aussi que la préférence donnée par Dieu au Livre révélé à Mohammad (P.S.) constitue une remise en question uniquement de ce qui est apocryphe dans les

110 - Sourate La Table Servie, verset 50.

enfants, les vieillards, n'arrachez pas les arbres fruitiers, ne détruisez pas ce qui est habité, ne tuez les bêtes que pour vous en nourrir, n'abattez ni ne brulez les palmiers, ne soyez pas excessifs, ne perdez pas la tête":[106]

Il n'est nul besoin de rappeler que l'Etat musulman, en période de paix, établit des relations politiques, économiques et culturelles avec les autres Etats et qu'il fonde ses échanges sur l'égalité et le respect réciproque tout en préservant les intérêts mutuels et en coopérant en vue de les garantir dans la continuité. Dieu dit : «*Soyez fidèles au pacte de Dieu, vous qui l'avez conclu; ne violez pas les serments que vous avez jurés solennellement. Je vous ai pris Dieu pour garant et Il sait ce que vous faites*».[107]

Ce pacte demeure respecté tant qu'il l'est aussi par l'autre partie, mais cesse une fois il est violé, à l'instar de la diplomatie usée par le Prophète (P.S.) avec les incrédules dont Dieu a dit : «*Dieu est libre de tout engagement envers les idolâtres ainsi que Son prophète*»[108] tout en excluant ceux qui ont respecté leur engagement : «*Cela toutefois, ne concerne pas les idolâtres avec qui vous avez fait la paix et qui ne l'ont point violée, ni prêté à personne aucun secours contre vous. Gardez envers eux les engagements pris jusqu'à l'expiration du terme de votre accord...*»[109] Le respect des pacts et des traités a atteint un point tel que le Prophète (P.S.) s'est trouvé dans l'obligation de refuser la conversion de certains incrédules qui n'avaient pas l'assentiment de leurs tuteurs conformément au traité de paix d'Al-Hudaybia conclu entre lui et les incroyants de la Mecque.

Telle est la coexistence en Islam. Nous avons essayé, le long de cette étude, de mettre en évidence les traits les plus saillants de cette véritable cohabitation. Nous n'affirmons rien de nouveau en disant que

---

106 - Rapporté par Ibn Malik, d'après Yahya Ibn Saïd, voir aussi Tanouir al-Hawalik, explication de Mowatta Malik, par Sayouti. Tome 2, pages 6 et 7.

107 - Sourate L'Araigné, verset 91.

108 - Sourate Le Repentir, verset 1.

109 - Idem, verset 4.

- "Deux yeux seront préservés du feu (le jour du Jugement Dernier), un oeil qui pleure par crainte de Dieu, et un autre qui veille au service de Dieu".[100]

- "Une nuit passée au service de Dieu vaut mille nuits de prières et de jeûne".[101]

Précisons qu'en outre, **quand l'Etat musulman est contraint à la guerre**, celle-ci est réglementée selon des normes bien définies. Elle obéit à des conditions et possède un code parfait qui la régit, comme le montre ce hadith : "*Faites vos conquêtes au nom de Dieu et pour Dieu, puis combattez ceux qui ne Le reconnaissent pas. Ne soyez pas excessifs, n'utilisez pas la traitrise et ne tuez aucun nouveau-né*"[102] et aussi : "*Sortez, combattez les incrédules au nom de Dieu et dans Sa voie. Ne soyez pas excessifs ni perfides et ne tuez **ni les enfants ni les gens des temples***"[103] et enfin : "*...Ne tuez ni un enfant, ni un vieux, ni une femme*".[104]

Ce code concerne également le comportement à adopter vis-à-vis des prisonniers. Le prophète a dit : "*Je suis autant l'envoyé de la miséricorde que du Jihad*".[105] Mais c'est là également un vaste domaine du ressort des juristes musulmans.

Les califes bien guidés, eux aussi, empruntèrent la voie indiquée par le Prophète (P.S.). Le premier, Abu Bakr, donnant ses directives à Yazid Ibn Abi Sufian, commandant des troupes de Syrie, lui parla en ces termes : "Je t'en rappelle dix [comportements]: Ne tuez pas les femmes, les

---

100 - Rapporté par Tirmidhi et Nissaii, d'après Ibn Abbas.

101 - Rapporté par Ibn Maja, d'après Othman Ibn Affan.

102 - Rapporté par Ibn Hanbal, d'après Abou Solayman Ibn Brira.

103 - Rapporté par Ibn Hanbal, d'après Ibn Abbas.

104 - Rapporté par Ibn Daoud, d'après Anass.

105 - Cité par Ibn Saïd dans son Tabaquat, où on trouve un pareil dans le Musnad d'Ibn Hanbal, d'après Abou Moussa, ainsi que chez Tabari dans son M'yjam Kabir.

menez le combat par vos biens et vos personnes, dans le chemin d'Allah».[95]

Le premier verset instituant le Jihad rattache celui-ci au fait de contrecarrer l'injustice et l'iniquité. Dieu y dit : «*Permission est donnée à ceux qui combattent parce qu'ils ont été lésés; en vérité, Allah a pleine puissance pour les secourir - à ceux qui, sans droit, ont été expulsés de leurs habitats seulement parce qu'ils disent : - Notre Seigneur Allah.*»[96] L'ellipse ici concerne le combat, donc "Permission de combattre". Cette approche est vérifiée par le verset où Dieu dit : «*On vous a prescrit le combat et vous l'avez pris en aversion. Il se peut que vous ayez de l'aversion pour ce qui vous est avantageux*»[97]

C'est la raison pour laquelle l'Islam a fait du combat de l'être par le don de ses biens et de sa personne un véritable acte de piété et l'a placé avant la (Omra), visite recommandée aux lieux Saints, voire la prière ou le jeûne. Il suffit de rappeler à cet égard les versets où Dieu dit : «*O croyants! vous ferai-je connaître un capital qui vous délivrera des tourments de l'enfer? Croyez en Dieu et à Son prophète, combattez dans le sentier de Dieu, faites le sacrifice de vos biens et de vos personnes; cela vous sera plus avantageux si vous le comprenez. Dieu pardonnera vos offenses. Il vous introduira dans les jardins où coulent des fleuves, vous habiterez éternellement de charmantes demeures. C'est un bonheur immense*».[98] Rappelons aussi ces hadiths du Prophète (P.S.) :

- "*La cime de la bonne action en Islam réside dans le combat dans la voie de Dieu*".[99]

---

95 - Sourate Le Repentir, verset 41.

96 - Sourate Le Pélerinage, versets 37-38.

97 - Sourate La Génisse, verset 214.

98 - Sourate Les Rangs, versets 10-13.

99 - Rapporté par Ibn Hanbal, d'après Mu'adh Ibn Jabal.

qu'en fait il signifie combat pour la défense des personnes, de la justice et de la religion.

Par cette approche du sens du terme "jihad", **ils opposent Islam et Christianisme** vis-à-vis duquel ils commettent d'ailleurs la même fausse interprétation lorsqu'ils le disent la religion de la paix et du pardon alors qu'elle aussi a recours à l'épée en cas de nécessité. **Jésus (P.S.) dit dans l'évangile de Mathieu: "Ne croyez pas que je sois venu pour apporter la paix sur la terre. Je suis venu apporter non la paix, mais le glaive".**[92] **Dans l'évangile de Luc, parlant à ses compagnons, le prophète Jésus (P.S.) dit aussi : "Quand je vous ai envoyé sans bourse, sans sac et sans souliers, avez-vous manqué de quelque chose?" Ils répondirent "de rien! - Mais maintenant, leur dit-il, que celui qui a une bourse la prenne, que celui qui a un sac le prenne également, que celui qui n'a point d'épée vende son manteau pour en acheter une..."**[93]

En outre, le "Jihad" a plusieurs finalités, se retrouve dans plusieurs domaines et passe par plusieurs étapes constituées par les moyens politiques, financiers ou autres susceptibles de mener au rétablissement d'un droit légitime et de sauvegarder la dignité de l'être humain. Plus que cela même, le Jihad, combat mené par l'individu contre ses désirs pervers, est considéré par l'Islam comme étant le Jihad par excellence, ou le grand Jihad comme l'a appelé le Prophète (P.S.) lorsqu'il a dit : "*Nous revenons du petit combat pour entamer le grand combat*", et quand on lui demanda ce qu'était le grand combat, il répondit : "*Celui du coeur ou bien celui de l'âme*".[94]

Le combat doit être mené par la parole et le coeur, il l'est aussi par les biens qu'on possède et par sa propre personne, deux termes mentionnés toujours ensemble. Dieu dit : «*Lancez-vous, légers et lourds,*

92 - X/34.

93 - XXII, 35-36.

94 - Rapporté par Al-Bayhaqui, d'après Jabir Ibn Abdellah.

autre manifestation qui menacerait l'humanité que Dieu a organisée sur la base de la connaissance mutuelle entre les peuples, la tolérance, la coexistence et le bon voisinage.

Troisièmement : Organisé comme il est, l'Islam est en définitive, **un message de paix et ne recourt à la guerre que lorsque celle-ci s'avère nécessaire**. Le Prophète (P.S.) exhorte les croyants à ne jamais désirer la guerre et à garder une attitude sereine lorsque le combat s'impose. Il dit : "*Ne désirez par la rencontre de l'ennemi, et demandez à Dieu de vous en préserver. Si néanmoins vous rencontrez l'ennemi, soyez calmes et évoquez beaucoup Dieu*".[91]

On voit bien que l'envoyé de Dieu (P.S.) considère la guerre comme un crime si elle n'est pas dictée par des situations particulières qui en font un combat juste et légitime. C'est ce que confirment d'ailleurs plusieurs textes internationaux actuels. Contentons-nous de rappeler à cet égard la Charte de l'O.N.U. qui appelle les Etats à recourir à des moyens pacifiques dans la résolution de leurs conflits, de se défendre d'utiliser la force ou la menace et de sauvegarder ainsi la paix et la sécurité dans le monde, sauf en cas de défensive, dans l'article 51 qui stipule qu'un Etat ou une confédération d'Etats membres des Nations Unies conservent le droit de recours à la guerre en cas d'agression par des forces armées étrangères jusqu'à ce que le Conseil de Sécurité prenne les mesures nécessaires pour sauvegarder la paix internationale.

C'est pour toutes ces raisons que **l'Islam incite au Jihad afin de contrecarrer tout ce qui menacerait son organisation et défendre le territoire, la société et la doctrine** tout en préservant tant l'individu que le groupe de l'humiliation et de l'atteinte à la dignité humaine.

Les adversaires de l'Islam présentent le Jihad comme étant une guerre de religion qui provoque la terreur chez les non-musulmans, alors

---

91 - Boukhari et Muslim, d'après Abou Houraïra.

controverse stérile, et des séminaires n'ayant d'autre but pour le participant que d'imposer son point de vue afin de prédominer sur les autres. Dieu dit : «*Appelle les Hommes dans le sentier de Dieu par la sagesse et par les admonitions douces; si tu entres en dispute avec eux, fais-le avec honnêteté, car ton Seigneur connaît le mieux ceux qui dévient de Son sentier et ceux qui suivent le droit chemin*»,[86] ainsi que : «*N'engagez de débat avec les hommes des Ecritures que de la manière la plus honnête, à moins que ce ne soient des hommes méchants. Dites : - Nous croyons au livre qui nous a été envoyé, ainsi qu'à ceux qui vous ont été envoyés. Notre Dieu est le vôtre, c'est tout un. Nous nous résignons entiè@rement à Sa volonté*».[87]

3 - Le Coran, en narrant l'histoire d'Adam (P.S.), présente le fait d'éviter les conflits qui peuvent produire les pertes comme une obligation, tout en rappelant le fratricide commis par Caïn : «*La passion subjugua l'injuste, il tua son frère, et fut au nombre des malheureux*».[88]

Je voudrais ici lever **l'équivoque sur une question souvent mal comprise**, à savoir "le Jihad"[89] en rappelant trois faits en Islam :

Premièrement : On ne peut organiser une guerre pour obliger les peuples d'une autre religion à adopter l'Islam de force. Dieu dit dans un verset cité précédemment : «*Point de violence en matière de religion. La vérité se distingue assez de l'erreur. Celui qui ne croira pas au Taghout (les idoles) et croira en Dieu aura saisi une anse solide à l'abri de toute brisure*».[90]

Deuxièmement : L'appel de l'Islam à la paix ne signifie pas que l'on accepte l'agression et la tyrannie, le mal et l'injustice ou toute

---

86 - Sourate L'Abeille, verset 125.

87 - Sourate L'Araignée, verset 46.

88 - Sourate La Table Servie, verset 72.

89 - L'auteur a déjà abordé ce sujet dans deux études : "Madrassat Mohamed Al-Khamiss fi Siaq Al-Fikr Assiyassi al-Maghribi" et "L'Islam, religion de paix et de Jihad".

90 - Sourate La Génisse, verset 255.

Rappelons aussi que nous, les Musulmans, saluons en utilisant cette expression : "La paix soit sur vous" et que nous la prononçons à la fin de chaque prière. Le Prophète (P.S.) a dit : "*Vous n'entrerez au paradis que lorsque vous croirez, et vous ne croirez, que lorsque vous vous aimerez... Ne voudriez-vous pas que je vous indique un moyen de vous aimer...? Eh bien, répandez entre vous le salut de la paix*".(84)

La paix, dans le sens que lui donne la vraie foi (Hanafia), n'est ni un abandon, ni une expectative ou une faiblesse, mais plutôt la recherche de la justice et un échange d'intérêts entre les hommes sur la base de l'égalité et la confiance réciproque, ainsi que sur des obligations communes engageant tous les éléments du groupe, comme nous allons le voir.

Trois principes sont à la base de cet appel à la paix.

1 - Le premier principe réside dans la coexistence entre les sociétés humaines. En général, les communautés nourrissent une perception différente du monde et des intérêts personnels à sauvegarder, ce qui n'est pas sans susciter des antagonismes et sans engendrer des discordes entre elles. Seul un système de valeurs juste est en mesure de permettre aux échanges d'intérêts d'avoir lieu selon des normes qui puissent les sauvegarder. Il est certain que la connaissance mutuelle (taäruf), dont parle le Coran et dont nous avons fait mention plus haut, constitue l'un des principes de ce système de valeurs : «*Nous vous avons créés de mâle et de femelle et Nous avons fait de vous des confédérations et des tribus pour que vous vous connaissiez mutuellement*».(85)

2 - Un deuxième principe veut **que cette cohabitation puise ses éléments dans l'échange des points de vue** qui, en Islam, est concertation véritable pour la résolution des problèmes qui peuvent intervenir entre les communautés et non pas des rencontres où sévit la

84 - Rapporté par Muslim, d'après Abou Houraïra.
85 - Sourate Les Chambres, verset 13.

principes généraux par lesquels ils expriment leur appartenance à leur société dans le sens actuel du droit à la nationalité, si ce n'est plus encore. Cette faculté s'exerce dans un cadre légal qui attribue aux personnes leur droit à la nationalité et à la liberté politique. Le citoyen devient ainsi un élément constitutif du peuple auquel il appartient, sans parler des conditions qui peuvent lui faire acquérir la nationalité comme la naissance, l'origine, la résidence et d'autres dispositions stipulées dans les différents pays du monde contemporain.

Cette coexistence dans la différence met en valeur la notion de (Silm), à savoir l'amour de la paix et la répugnance au recours aux armes. On retrouve ce terme, avec diverses dérivations dans de nombreux versets coraniques, comme: «*O, vous qui croyez! Entrez dans la paix en totalité, et ne suivez pas les pas du démon, car il est pour vous un ennemi déclaré*».(80) Notons ici que l'appel à la paix, tout en évitant le démon signifie que la guerre est du ressort de Satan. Dieu dit aussi: «*...S'ils s'inclinent vers la paix, incline-toi vers celle-ci et appuie toi sur Allah*».(81) En d'autres termes, leur désir de paix émane d'une volonté ferme et d'une foi réelle.

Il suffit, pour montrer toute l'importance de la notion de la paix en Islam de rappeler que le substantif (silm - ou paix) est à l'origine du mot **Assalam et que c'est également l'un des plus beaux noms d'Allah.** Dieu dit : «*Il est Allah, nulle divinité excepté lui, le Roi, le Très Saint, le Pacificateur, le Préservateur, le Puissant, le tout Puissant, le Superbe. Combien Allah est plus glorieux que ce qu'ils lui associent*».(82) Il se peut que cette appellation (Assalam) comporte la signification suivante, à savoir la paix dont il est question ici, la perfection ainsi que l'intangibilité du Tout-Puissant.

Pour appeler les gens à la communauté musulmane, Dieu dit : «*Allah appelle à la demeure du salut (salam) et dirige qui Il veut vers une voie droite*».(83) Par demeure du Salut, Dieu vise celle de la sécurité, de la stabilité et du bonheur à tel point que certains exégètes l'ont interprétée comme étant le Paradis.

---

80 - Sourate La Génisse, verset 206.

81 - Sourate Al-Anfal, verset 62.

82 - Sourate Le Jour inévitable, verset 23.

83 - Sourate Jonas, verset 25.

Le point de départ de cette alliance sociale demeure toujours l'être, en considération du fait qu'il constitue une somme de potentialités qui préfigurent son humanité, lui communiquent le sentiment de son existence tant individuelle que collective, le dotent en possibilités de travail et de production et en moyens d'action efficients.

Nul doute que certaines de ces aptitudes sont ancrées dans sa nature d'être vivant appartenant à la sphère où il évolue et que, par conséquent, inconsciemment ou consciemment, il tente de préserver et de développer sa propre personne.

Si sa nature lui permet de vivre sur terre dans une perspective et une surface plane, l'élément spirituel, quant à lui, l'élève par le biais de la doctrine et de la religion et lui ouvre une dimension céleste, donc verticale qui dispense l'indispensable harmonie à une vie sociale comportant des valeurs individuelles et collectives et une conduite morale à même de préserver la relation entre l'individu, d'une part, et l'univers et son Créateur, d'autre part.

Outre la nature et l'âme, intervient l'esprit pour opérer au niveau de la perception et de la conscience, de la volonté et de la pensée, puis diriger, planifier et régulariser l'action humaine. C'est ce qui confère d'ailleurs à la notion de citoyenneté sa véritable signification, c'est-à-dire comme elle devrait être conçue par les Musulmans et les non-musulmans vivant dans le même Etat.

Ce concept de citoyenneté se concrétise par la fidélité à l'Etat, matérialisé par son territoire et sa doctrine, sa culture et sa civilisation, sa réalité et son devenir; c'est-à-dire, autant de principes et d'éléments constitutifs en lesquels ont foi les citoyens et desquels ils s'imprègnent tant dans leur esprit que dans leur âme et leur existence. Dieu a gratifié l'homme de ces facultés, comme nous l'avons vu plus haut, et la citoyenneté qu'elles engendrent est, à n'en point douter, empreinte de noblesse parce que dotée du sens de la responsabilité.

L'Etat musulman procure à ces citoyens non-musulmans la possibilité de s'intégrer complètement dans son sein en préservant toutes les caractéristiques de leur personnalité propre, en premier lieu la composante religieuse et ce qui en découle comme pratiques et usages cultuels par lesquels ils s'affirment psychologiquement et culturellement. C'est ainsi également qu'ils manifestent leur identité parallèlement aux

acceptait l'enrôlement des gens du Livre dans ses combats contre les idolâtres".(77)

L'Histoire musulmane connaît pourtant plusieurs cas qui agréent cette pratique. Par exemple, ce qui se passa après que Abu 'Ubaïda eut conquis Lattaquié où il avait nommé Habib Ibn Muslama comme gouverneur, puis s'apprêtait à prendre Al-Djurjuma, ville sur le mont al-Likam surplombant Lattaquié. Les habitants d'Al-Djurjuma n'opposèrent pas de résistance et demandèrent la paix; en échange de quoi, ils participeraient aux conquêtes musulmanes, feraient le guet et surveilleraient les dépôts d'armes; enfin, ils ne paieraient pas l'impôt de capitation et auraient accès au butin des razzias auxquelles ils auraient participé.(78) C'est ce qui arriva de même entre le général Abd al-Rahman Ibn Rabia quand il atteignit Bab en Turquie, et le Roi perse Chahriar Celui-ci écrivit au général de venir le "voir en paix", ce que ce dernier fit. Le Roi lui dit alors : "A mes frontières se trouvent un ennemi enragé et divers peuples sans noblesse aucune. Il n'est pas dans la nature des nobles de recourir à des routiers pour combattre des nobles comme vous, les vertueux se trouvent où qu'ils soient ; je ne suis ni causasien ni arménien, je me considère comme étant un parmi vous, notre impôt sera que nous vous aidions à obtenir la victoire et nous plier à notre volonté. Le général répondit : "Mon supérieur est à même de t'accorder la protection. Va le voir". Le Roi alla trouver Suraqua à qui il répèta les mêmes propos. Celui-ci accepta la proposition du Perse, agit bien envers lui et en rendit compte au Calif Omar(79).

C'est ainsi que les Musulmans vécurent avec ceux dont le dogme était différent du leur et qui partageaient leur vie sociale dans une conjonction dictée par l'Islam qui ne trouve aucune répugnance à tolérer les religions qui reconnaissent l'unicité de Dieu et qui, partant, est à même d'élever le niveau des citoyens en les enrichissant continuellement grâce à une symbiose toujours plus cimentée entre la patrie et la religion.

---

77 - Idem.

78 - Futuh Albuldan : Al-Baladhi, p. 246.

79 - Histoire de Tabari, tome 3, p. 236.

que lui. Par Dieu, nous aurons été certes injustes envers lui si nous le trahissons dans sa vieillesse après l'avoir pressuré dans sa jeunesse. Les aumônes sont pour les pauvres et les nécessiteux; en plus, ce mendiant appartient aux gens du Livre." Ce pauvre et ceux qui étaient dans le même cas parmi les gens du Livre furent exonérés de cet impôt.(73)

Dans une lettre de Khalid Ibn al-Walid aux habitants de Hira on trouve : "...Aux hommes trop vieux pour travailler, à ceux à qui est arrivé un grave accident, aux personnes aisées devenues pauvres et auxquels leurs coréligionnaires font l'aumône, leur impôt de capitation sera prélevé de la Trésorerie durant leur séjour comme immigrés ou comme citoyens natifs en terre d'Islam".(74)

2. La participation des non-musulmans, s'ils sont volontaires, à la défense du territoire et à la guerre du Jihad. Cette pratique était déjà en usage à l'époque du Prophète (P.S.) qui n'a jamais empêché un non-musulman de prendre part au combat sauf dans certains cas particuliers qu'on explicitera par la suite.

Le volontariat demeure une condition primordiale afin de ménager le sentiment religieux de ces non-musulmans quand l'ennemi s'avère être leur frère en religion.

Toutefois, les juristes musulmans (fuqaha), répugnent au recours à un incroyant parce qu'ils se fondent sur le hadith où le Prophète (P.S.) a dit : "*Aucun associateur ne m'aidera jamais*",(75) et ce, en réponse à l'attitude de l'un d'entre eux qui avait exprimé le désir de participer au combat de Badr.(76) Ce refus s'explique par le fait que l'envoyé de Dieu (P.S.) espérait ainsi susciter sa conversion. A part ce cas, "le prophète

---

73 - Kitab Al-Kharaj : Abou Youssef, p. 70.

74 - Idem.

75 - Rapporté par Muslim, d'après Aïcha, à la fin du livre du Jihad.

76 - Adhakhira : Al-Qarafi, t. 3, p. 406.

Il est aussi communément admis que, dit al-Quarafi, "...En vertu du contrat imposant la capitation, honneur, corps et biens sont sauvegardés, ...car cet acte implique une immunité qui équivaut celle dont jouit le musulman. Par ailleurs, Dieu a enjoint, aussi bien aux musulmans qu'aux gens de la dhimma (de la protection) de respecter, pour les premiers toutes les conditions de l'acte de foi, pour les seconds, l'acte de loyauté... Ce contrat d'alliance nous oblige à respecter leurs droits vu qu'ils vivent en notre voisinage, sous notre protection et sous la protection du Tout-Puissant et de Son Prophète (P.S.). Celui, donc, qui leur porte préjudice, même par une médisance ou une calomnie touchant l'honneur de l'un d'eux, ou qui est complice de cet acte, a rompu le pacte de protection et de sauvegarde de la religion musulmane institué par Dieu Tout-Puissant et Son Prophète..."(71)

Les non-musulmans sont exonérés de ce tribut dans deux cas :

1. L'incapacité et la pauvreté - les juristes musulmans insistent sur le fait que ... "S'il (le citoyen) est aisé, le tribut est prélevé, et s'il est nécessiteux, il ne le doit pas pour cause d'incapacité, car le pauvre ne paie pas cet impôt"(72)

On rapporte que le Calife Omar passait près d'une maison à la porte de laquelle quêtait un mendiant vieux et aveugle, il l'interpella en lui demandant de quels gens du livre il était et ce qui l'avait poussé à tendre la main. A quoi le mendiant répondit qu'il était Juif et que son état était dû au fait qu'il payait l'impôt de capitation. Omar l'amena chez lui et lui donna de la nourriture en aumône, puis fit venir le trésorier et lui dit : "Revois le cas de cet homme et de ceux qui sont dans la même situation

---

71 - Chihab Eddin Aboul Abbas Al Qarafi : Al-Furuq, tome III, pp. 11-14.

72 - Adhakhira : Al-Qarafi, tome 3, p. 454 (commenté par Mohamed Ben Khobza), Edition Dar Al-Islami).

défendre sa patrie et sa religion. Partant de là, cet impôt est versé par les non-musulmans en compensation de la protection dont ils bénéficient de la part de l'Etat musulman. A ce propos, Omar Ibn al-Khattab a dit à son successeur : "...Je te confie les gens de la dhimma (qui jouissent de la protection) et je te recommande de guerroyer sans leur imposer ce qui est au-delà de leur capacité s'ils s'acquittent de leurs obligations envers les croyants"(67). **L'Islam ne pouvait donc contraindre les citoyens qu'il protégeait à sacrifier leur vie dans la défense d'une religions à laquelle ils n'appartenaient pas, surtout que les guerres en ce temps avaient un caractère religieux.**

Par ailleurs, l'impôt de capitation est prescrit par le Coran où il est dit : «*Combattez-ceux qui ne croient pas en Dieu ni au Jour Dernier, ni n'interdisent ce qu'interdisent Dieu et Son Envoyé et qui, parmi ceux qui ont reçu l'Ecriture, ne suivent pas la religion du Vrai - et cela jusqu'à ce qu'ils paient d'un seul mouvement une capitation en signe d'humilité*».(68) L'expression ('an-yadin) signifie que seuls ceux qui sont aptes doivent payer ce tribut en échange de la sécurité que leur procure l'Etat aux lois duquel ils sont tenus de se soumettre, et c'est ce que dénote l'expression(69) "en signe d'humilité".

Afin de clarifier encore plus ce verset, nous tenons à rappeler que le terme [jizya] (i.e. impôt de capitation) est dérivé de [jaza'] qui veut dire rétribution. C'est la raison pour laquelle les responsables doivent, d'une part, s'engager à imposer tous les gens du Livre qui ont contracté cette alliance avec l'Islam et, d'autre part, leur garantir la sécurité et protéger leur dignité.(70)

---

67 - Al-Jahiz : Al-Bayan Wal Tabyin, tome III, p. 46, Tabari : Tarikh Al-Umam, tome III, p. 265.

68 - Sourate Le Repentir, verset 29.

69 - Sourate Le Repentir, verset 29.

70 - Al-Mawardi : Al-Ahkam Al-Sultaniya, pp. 127-128.

- "Toute personne qui injurie l'un des gens du Livre sera remise à sa place le jour du Jugement Dernier, au moyen de fouets incandescents."(64)

- "Celui qui tue l'un des gens de la dhimma (protection) ne verra pas le paradis."(65)

Ces prescriptions avaient été respectées aussi bien par les Califes "bien guidés" que par les généraux des conquêtes islamiques.(66)

Actuellement, il s'avère impérieux de renforcer cette armature, et ce, en raison de la méprise relative au sens de la coexistence vraie, aussi bien chez les Musulmans qu'ailleurs dans le monde et de ce qui en découle comme actes d'impiété et comme crimes.

Pour remédier à cette situation, il est nécessaire de procéder à un examen de conscience, et ce, pour une consolidation des structures de la communauté islamique et un raffermissement de sa capacité de résistance à toute forme d'agression.

Il apparaît donc clairement que les citoyens de l'Etat Musulman, quels qu'ils soient, sont égaux devant la loi. Cependant, **on exige des non-musulmans un impôt de capitation afin de garantir leur protection et qui les dispense des deux obligations auxquelles sont tenus les Musulmans aptes, à savoir** : la zakat (l'aumône légale) et le Jihad (le combat).

L'impôt de capitation remplace l'aumône légale qui revêt un aspect plutôt cultuel qu'institutionnel; mais qui dispense en même temps du Jihad, en d'autres termes, le devoir de tout Musulman de

---

64 - Boukhari, Tirmidhi et Muslim, d'après Abou Houraïra.

65 - Boukhari, Muslim et Ibn Maja, d'après 'Amr Ibn Al'Ass.

66 - Voir une étude détaillée de l'auteur, intitulée : Istiklass Atassaour assalim li Moamalat Ghaïril muslimin fidar Assalam, p. 119.

des emplois.(59) Nous rappelons aussi l'exemple de Anastase al-Rahaoui, sous les Oméyyades, qui assurait la fonction de Directeur du Diwan d'Alexandrie et qu'on nommait dans les correspondances officielles "L'Eminent Secrétaire".(60)

Cinquième attitude : L'appellation "Gens du Livre" est une reconnaissance explicite des livres saints et des prophètes. De surcroît, la dénomination **[Ahl al-dhimma] (i.e. gens de la protection)** englobe même les Mazdéens, les Sabéens et les Samaritains. On rapporte en effet que certains Musulmans parlèrent à Omar Ibn Al-Khattab de gens qui adoraient le feu. Se trouvant embarrassé, il dit à Abd al-Rahmane Ibn 'Awf : "Je fus témoin lorsque l'envoyé de Dieu a dit : "*Que l'on prescrive pour eux ce qui a été établi pour les gens du Livre.*"(61) Omar rapporte aussi que le Prophète (P.S.) avait accepté l'impôt de capitation des Mazdéens de Hijr en interdisant le mariage avec leurs femmes et la consommation du bétail qu'ils sacrifiaient. Ce tribut a été imposé au temps du khalife Abu Bakr par son gouverneur Khalid Ibn al-Walid aux habitants de l'Irak qui étaient alors des Perses. Cette loi demeura en vigueur jusqu'au règne du Calife Othman Ibn Affan qui l'appliqua aux berbères du Maghreb.(62) Cette tolérance et ce respect de la liberté des cultes transparaît nettement dans les rapports sociaux entretenus grâce aux recommandations du Prophète (P.S.), et conformément à ses Hadiths: "*Je m'oppose à toute personne qui porte préjudice à l'un des gens du Livre et je lui en tiendrai rigueur le jour du Jugement Dernier*".(63)

---

59 - Voir : Futuh Al-Buldan : Ahmad Ibn Yahya Ibn Jabir Baladhri, p. 142, éd. Le Caire, 1318 de l'hégire.

60 - Voir : Al-Mawaïd Wa Al-Itibar fi dhikr Al-Khutut Wa Athar, Maqrizi, tome I, p. 98.

61 - Kitab Al-Kharaj, Abi Youssouf Ya'quoub Ibn Ibrahim, p. 74.

62 - Al-Kharaj wa Sina'at Al-Kitaba, Qudama Ibn Jaafar, p. 225 (commenté par Mohamed Hussein Al-Zabidi). Tirmidhi et Boukhari rapportent que le Prophète reçut le tribut des Mazdéens, de Hijr et de Bahrayn, Omar le reçut des Perses, et Othman des Perses et des Berbères.

63 - Rapporté par Al-Khatib Al-Baghdadi, d'après 'Ibn Mas'oud.

avant vous.»[57] Ici, il s'agit des mets des Juifs et des Chrétiens, à part ce qui est interdit au départ au Musulman, comme ce qu'ils sacrifient et préparent à manger, vu la manière dont l'animal a été tué et autres interdits défendus par l'Islam. En fait, il s'agit là d'un subterfuge dans le dessein de ménager des personnes avec lesquelles on vit et on cohabite. Il n'est naturellement pas question de permettre au Musulman de manger ou de boire ce qui est reconnu illicite comme le vin et le porc.

Pour ce qui est de l'alliance par le mariage, s'il est permis à un Musulman d'épouser une femme d'une religion révélée et que la mariée ne se convertisse pas nécessairement, c'est que le point de vue de l'Islam à cet égard se fonde essentiellement sur la coexistence, car la femme, en se maintenant dans son dogme, n'influence nullement l'environnement social islamique. En revanche, un homme appartenant à une religion révélée, lui, est tenu d'embrasser l'Islam avant d'épouser une Musulmane, car il est d'usage dans les sociétés que l'affiliation se fasse à partir du père qui, s'il n'est pas musulman, imposera en outre son propre dogme à ses enfants. Cette attitude permet aux sociétés musulmanes de vivre la coexistence la plus harmonieuse qui soit tout en préservant les fondements de l'Islam.

Quatrième attitude : L'attribution de postes de responsabilité aux non-musulmans au sein des Etats Musulmans, notamment dans les domaines politique, diplomatique, financier et administratif. Depuis l'avènement de l'Islam, de très hautes fonctions ont été confiées aux non-musulmans, et ce, jusqu'à nos jours. A ce propos, Abu Al-Hassan Ali Ibn Mohammad Al-Mawardi, rapporte ceci dans son livre Al-Ahkam al-Sultania[58] : "...Il est permis, a-t-on dit, que ce ministre (i.e. le ministre chargé du pouvoir exécutif) soit un sujet non-musulman". Nul n'ignore non plus que de son côté, Omar Ibn Al-Khattab avait placé certains captifs de "Césarée" au service de l'Etat après leurs avoir assigné

57 - Sourate La Table Servie, verset 6.

58 - Pages 21 et 23.

autres peuples tout en persévérant dans l'exhortation au bien et le dénigrement du mal. Ce sont là assurément les deux boucliers de la société et les deux vecteurs de son développement et de sa prospérité, tant que cette religion continuera à se préoccuper de l'individu et du groupe et aspirera à instaurer une société de fraternité où règnent liberté et tolérance et où l'individu prend conscience de sa part de responsabilité dans son édification.

Deuxième attitude : Elle réside dans les libertés reconnues aux minorités par l'Etat musulman dans tous les temps. **Elles vivent selon leurs traditions et coutumes** et d'après leur propre statut personnel et les juridictions spéciales conçues dans le but de trancher tout conflit pouvant surgir entre deux parties d'une même religion. En outre, elles exercent leur culte en toute liberté, édifient leurs temples, organisent leurs fêtes et décident de leurs congés selon leurs usages. Mohamed Ibn Al-Hussein Al-Farra' El-Hanbali a indiqué que : "S'il arrive qu'ils aient une querelle doctrinale et religieuse entre eux, on [les musulmans] n'intervient pas (d'office) dans leurs conflits. En cas de litige, ils recourent à leur juridiction en toute liberté."(55) L'Islam reconnaît la liberté du culte à tel point que si un incroyant menacé dans sa personne demande protection à un Musulman, celui-ci est tenu de la lui assurer tant que le requérant n'a pas rejoint sa demeure ou les siens. Dieu dit : «*Si quelque idolâtre te demande un asile, accorde-le lui afin qu'il puisse entendre la parole de Dieu, puis fais-le reconduire à un lieu* sûr.»(56)

Troisième attitude : Il s'agit là de **la permission accordé aux Musulmans de s'unir aux gens du Livre et de manger à leur table.** Dieu dit : «*Aujourd'hui la jouissance de tout ce qui est bon vous a été permise; la nourriture de ceux qui ont reçu les Ecritures est licite pour vous, et la vôtre l'est également pour eux. Il vous est permis d'épouser les filles honnêtes des croyants et de ceux qui ont reçu les Ecritures*

---

55 - Al-Ahkam Al-Sultania, pp. 160-161, commenté par Mohamed Hamed Al Féqui, édition Dar Al-Kitab, Beyrouth, 1403-1983.

56 - Sourate Le Repentir, verset 6.

et à l'exprimer de vive voix, tout en réprouvant le péché de mutisme quand il s'agit d'éprouver la vérité. Dieu dit également : "*Ne revêtez pas la vérité de la robe du mensonge; ne cachez point la vérité quand vous la connaissez.*»[51] A propos de l'exhortation au bien et de l'interdiction du mal, comparées à la foi et qui a élevé la Nation musulmane aux plus hauts rangs, Dieu dit : «*Vous êtes le peuple le plus excellent qui soit jamais surgi parmi les hommes; -tout le temps que- vous ordonnez ce qui* est bon et défendez *ce qui est mauvais.*»[52]

Pour ce qui est des minorités non-musulmanes, l'Islam ne leur a pas seulement permis d'exercer leur culte dans la communauté tolérante de cette religion, mais leur a permis en même temps de s'intégrer dans cette société en leur garantissant la liberté et la dignité. **Cinq attitudes édifiantes sont à rappeler à cet égard :**

Première attitude : L'interdiction adressée aux Musulmans de n'engager de dialogue théologique avec ces minorités, et surtout avec les gens du Livre, qu'animés d'une bonne intention. Dieu dit : «*N'engagez de débats avec les hommes des Ecritures que de la manière la plus honnête, à moins que ce ne soient des hommes méchants. Dites : -Nous croyons au Livre qui nous a été envoyé, ainsi qu'à ceux qui vous ont été envoyés. Notre Dieu est le vôtre, c'est tout un. Nous nous résignons entièrement à Sa volonté.*»[53] Cette attitude est sans équivoque aucune en dépit des questions doctrinales qui ont été soulevées et qu'on soulève encore au niveau du dialogue entre Musulmans et Chrétiens, comme les significations de "incroyant" et "associateur" ainsi que la problématique de Jésus Christ, que la paix de Dieu soit sur lui.[54] En outre, il s'agit là cependant d'une position qui n'exclue nullement la nécessité de poursuivre la profession du message de l'Islam pour le faire parvenir aux

---

51 - Sourate La Génisse, verset 41.

52 - Sourate Al 'Imran, verset 110.

53 - Sourate L'Araignée, verset 46.

54 - L'auteur a été invité à participer à ce dialogue.

matérielles. De cette foi découle aussi un affranchissement de l'esprit qui lui permet de se libérer de tout genre d'asservissement et de se sentir à l'abri de toute agression susceptible de porter atteinte à son intégrité, à sa confiance religieuse et à son existence même. A ce propos, l'importance des pratiques cultuelles et leur rapport avec la sécurité ressentie par l'individu est mise en exergue dans ce verset coranique : «*Qu'ils adorent le Seigneur de ce Temple qui les a munis contre la faim et les a mis à l'abri de la crainte.*»(46) Le prophète a, pour sa part, souligné la portée de ce sentiment de sécurité lorsqu'il a dit : "*Celui parmi vous qui jouit de la paix parmi les siens, qui jouit d'un corps sain et dont la subsistance quotidienne est assurée peut se considérer comme une personne comblée*".(47)

Nous pouvons affirmer que l'Islam a devancé toutes les dispositions de la charte des droits de l'Homme; il suffit, pour s'en convaincre, de rappeler, à titre d'exemple, l'inviolabilité du domicile en faveur de laquelle plaide le Coran dans ce verset : «*O vous qui croyez! N'entrez point dans les demeures autres que les vôtres avant de vous faire admettre et d'avoir salué ceux qui les occupent.*»(48) Rappelons aussi ce verset concernant l'inviolabilité de la vie privée, tel que la liberté de communication de la correspondance... etc. : «*N'espionnez pas! Ne médisez pas (en cachette) les uns contre les autres.*»(49)

Parmi ces libertés, nous trouvons aussi **la liberté d'expression.** La faculté de s'exprimer en Islam est le deuxième bienfait dont Dieu a gratifié Ses êtres après celui de leur existence même. Il constitue également le trait qui distingue l'homme des autres créatures. Dieu dit : «*Le Miséricordieux a enseigné le Coran. Il a créé l'homme. Il lui a enseigné l'éloquence.*»(50) On comprend par là que le Coran nous responsabilise et nous incite à prendre position pour le droit et la justice

---

46 - Sourate Qoraïch, verset 5.

47 - D'après Tirmidhi, rapporté par Abdullah Ibn Muhsin Al-Ansari Al-Khutaïmi.

48 - Sourate Al-Nur (la Lumière), verset 97.

49 - Sourate Les Appartements, verset 12.

50 - Sourate Le Miséricordieux, verset 1.

demeure la plus grande marque de considération octroyée par Dieu à l'homme. Cependant, cette tâche est d'autant plus difficile que c'est au Tout-Puissant seul que revient la décision du jugement définitif, car cet arrêt dépasse, et l'examen de conscience de l'homme, et la justice humaine elle-même.

Il est certain que si l'Homme prend conscience du fait qu'il endosse une responsabilité et qu'il sera tenu d'en rendre compte à Dieu, il acquiert ainsi un sens profond de la justice et du devoir.

4. De par sa nature, la liberté, considérée par l'Islam comme étant une valeur intrinsèque de l'Homme, constitue l'une des assises de la tolérance. Ce qu'en a d'ailleurs dit Omar Ibn Al-Khattab en reste un admirable témoignage : "Comment vous permettez-vous d'asservir les gens alors qu'ils sont nés libres?". Cette indépendance de l'être, étant l'un des aspects de l'honneur décerné à l'homme, nous estimons quant à nous que l'expression "droits de l'Homme", connotant "lutte", "appropriation" est moins éloquente que celle de "honneur de l'homme", synonyme de "grâce" et de "faveur divine".

Cette liberté dont Dieu a gratifié l'Homme concerne sa pensée et ses actes. Elle contribue à la formation de la personnalité humaine ainsi qu'à la constitution d'une société organisée et unie où les divergences donnent lieu à une concurrence loyale et non pas aux troubles et à la discorde. Cette récupération des oppositions est tout à fait explicitée dans le Coran : «*Et que pour cela les rivaux rivalisent*».(45)

Si l'Islam préconise la liberté, c'est qu'il appelle l'Homme à mener une vie digne, fondée sur les principes de coopération et de mise en valeur des biens au bénéfice de l'humanité. La foi en l'unicité de Dieu constitue la première étape de cette existence, car elle libère la personne de toute forme d'idolâtrie ou d'assujetissement de sa personne aux choses

---

45 - Sourate Les Escamoteurs,verset 26.

cas contraire, l'édifice social serait menacé d'effondrement. Partant, la solidarité, qui est un droit dû aux personnes âgées et aux nécessiteux, est à même d'assurer la dignité de l'individu et du groupe, c'est-à-dire de fournir à autrui tout ce qui lui est indispensable pour assurer une vie honorable, et réaliser les aspirations de l'âme humaine au bonheur.

Dans cette perspective, la solidarité en Islam est une philosophie de la vie qui se trouve être à la base de la naissance d'une société saine, à savoir une société où il ne peut y avoir ni tyran ni opprimé, ni accapareur ni indigent. Cette philosophie part du principe que l'un des moyens de l'homme de se rapprocher de Dieu reste la quête de son pain quotidien. Cela montre que l'entraide ne se limite pas uniquement à l'aumône, mais peut signifier aussi la possibilité d'offrir un travail et une vie décente à ceux qui s'en trouvent dépourvus, en vertu du principe de fraternité. Le Prophète (P.S.) dit à ce sujet : "*Nul d'entre vous ne peut être considéré comme étant un croyant s'il ne souhaite à son frère ce qu'il désire pour lui-même.*»[42]

3. Tout individu doit avoir le sens des responsabilités. Le Prophète (P.S.) exhorte au respect de cette valeur morale à travers le hadith suivant : "*Vous êtes tous gardiens et tous êtes responsables de ce dont vous avez la charge. Le prince est gardien, le père de famille est gardien, la mère est gardienne de son foyer et veille sur son mari et son enfant. Vous êtes donc tous gardiens et responsables de vos protégés.*" [43] Cette responsabilité requiert que celui qui l'endosse ait une conscience scrupuleuse.

Dieu, que son nom soit exalté, dit : «*Dis [à ces bédoins] Agissez! Allah verra vos actions, ainsi que l'Apôtre et les croyants, et vous serez ramenés à Celui qui sait l'inconnaissable et en témoigne. Alors, Il vous avisera de ce que vous serez trouvés avoir fait.*»[44] Cette responsabilité témoigne de la confiance dont l'être humain est dépositaire et qui

42 - Rapporté par Anas, cité dans Kitab Al-Iman, Al-Boukhari; rapporté aussi par Muslim et Ibn Hanbal.

43 - D'après Ibn Omar, rapporté par Boukhari, Muslim, Tirmidhi et Ibn Hanbal.

44 - Sourate Le Repentir, vreset 106.

non-musulmanes et avec les autres communautés. **Et ce, en raison du fait que les Musulmans sont appelés par la religion de la vraie foi [hanafia] à constituer une société régie par les principes de tolérance fondés sur des valeurs morales que nous énoncerons en quatre points :**

1. La fraternité est une valeur sur laquelle insistèrent et le Coran et la Tradition (Sunna). Le Tout-Puissant dit : «*Les croyants et les croyantes sont des affiliés (awlyaa) les uns pour les autres*».(37) (Awliyaa) signifie, dans ce contexte, des frères en Islam qui se soutiennent et s'assistent mutuellement. Dieu annonce dans un autre verset : «*Certes, les croyants sont avant tout des frères.*»(38) La particule (innama), par où commence cette phrase coranique exprimant l'exception, est utilisée ici pour signifier que la fraternité entre croyants est plus forte que tout autre sentiment. Dieu dit : «*Ceux qui sont installés [à Médine] et ont la foi, avant la venue [des émigrés], aimeront ceux qui ont émigré vers eux. Ils ne trouveront en leurs coeurs nulle envie pour ce qui a été donné à ces émigrés. A eux-mêmes, ils les préféreraient, même si pénurie existe chez eux.*»(39) Cette attitude renvoie à (al ithar) l'altruisme, opposée à (athara) l'égoïsme. A propos de ces sentiments d'amitié et d'entraide dans l'adversité, le Prophète (P.S.) dit : "*Tels les croyants qui s'aiment, tel le corps qui faillit si l'un de ses membres est atteint.*"(40)

2. La communauté musulmane vit dans la solidarité. Les biens et la sécurité de l'individu sont en effet assurés par le groupe-la communauté. Le Prophète (P.S.) rappelle cette obligation morale dans son hadith : "*Le croyant est à son semblable ce que sont les parties d'un édifice, l'une renforce l'autre.*"(41) Tout être humain devrait pouvoir jouir de ses droits - tout comme il est tenu d'assumer ses obligations. Au

---

37 - Sourate Le Repentir, verset 7.

38 - Sourate Le Rassemblement, verset 9.

39 - Sourate Le Rassemblement, verset 9.

40 - Raporté de Nu'man Ibn Bachir par Al-Boukhari et Muslim.

41 - Bukhari, Muslim, Turmidhi et Nassaï ont rapporté ce hadith de Abou Moussa qui a ajouté : "... et il a entre-croisé les doigts de ses deux mains".

Dieu et que je suis Son prophète. S'ils le prononcent, leur vie et leurs biens seront conservés intacts à part ce qui revient à Dieu".(34)

Signalons toutefois que cet ordre fut notifié au Prophète afin de l'encourager à réagir contre l'agression des idolâtres qui s'étaient opposés à la profession de foi islamique à la Mecque et qui l'acculèrent, lui et ses compagnons, à émigrer à Médine. Néanmoins, après la prise de la Mecque, les réfractaires à l'Islam furent traités avec indulgence tant qu'ils ne cherchèrent pas à semer la discorde ou à faire régner la violence et l'injustice. Le Tout-Puissant dit : «*Combattez-les jusqu'à ce que vous n'ayez point à craindre la tentation et que tout culte unique soit celui du Dieu unique.*»(35)

Dans ce contexte, le mot /fitna/ (i.e/ trouble, discorde) renvoie à tout ce qui peut constituer un obstacle à la promulgation de la foi musulmane.

L'Islam fait une distinction nette entre ceux qui combattent les Musulmans et ceux qui, tout en ne partageant pas leurs convictions, gardent une attitude pacifique envers eux. Dieu parle de ces derniers en ces termes : «*Dieu ne vous défend pas la bienfaisance et l'équité envers ceux qui n'ont point combattu contre vous et qui ne vous ont point bannis de vos foyers. Dieu aime les justes.*» Quant aux premiers, Dieu dit à leur sujet : «*Mais il vous interdit toute liaison pacifique avec ceux qui vous ont combattus et chassés de vos foyers, et qui ont voulu abolir votre religion. La même défense vos est prescrite contre ceux qui leur ont prêté secours. Quiconque leur montrerait de la bienveillance serait injuste.*»(36)

La coexistence prônée par l'Islam se manifeste clairement à travers les relations qu'entretiennent les Musulmans entre eux, avec les minorités

---

34 - Rapporté par Al-Bukhari, Muslem, Al-Turmidhi, Annissaï et Ibn Maga ; d'après Abou Horeïra.

35 - Sourate La Génisse, verset 193.

36 - Sourate "Mise à l'épreuve", versets 7-8.

Nul donc n'est obligé à notre avis d'embrasser l'Islam. Dieu dit ***«Nulle contrainte en religion»***. Le Tout-Puissant, en réponse à ceux qui pourraient s'enquérir de cette "libéralité" quant à l'accomplissement des prescriptions religieuses, dit *«Celui qui ne croira pas au Taghout (les idoles) et croira en Dieu aura saisi une anse solide à l'abri de toute brisure. Dieu entend et connaît tout».*(32)

C'est là une réponse argumentative où le Tout-Puissant annonce aux croyants la bonne nouvelle.

La raison première de ce respect de la différence réside dans le fait que l'Islam appelle à une foi émanant de la méditation et du libre arbitre. Par ailleurs, Dieu promet aux croyants probes une juste rétribution face au châtiment réservé aux mécréants.

En effet, l'Islam considère que la question de la divergence des points de vue en religion est du seul ressort de Dieu qui dit à ce propos : *«Au jour de la Résurrection, Dieu prononcera entre eux l'objet de la dispute».*(33)

L'Islam est donc fondé sur le principe de soumission à Dieu après une ferme conviction résultant de la conciliation, d'une réflexion rationnelle et d'un sentiment de confiance. C'est ce qui explique le culte de la liberté en Islam et l'absence de toute forme de contrainte dans cette religion.

Cependant, il est possible à certains de pouvoir présenter une objection à cette absence de contrainte qui pourrait s'appuyer sur le Hadith où le Prophète (P.S.) dit : "*L'ordre m'a été intimé de combattre les gens jusqu'à ce qu'ils prononcent l'acte de foi qu'il n'y a de Dieu que*

---

32 - Sourate La Génisse, verset 256.

33 - Sourate La Génisse, verset 113.

Dieu dit: «*Qui croient à l'inconnaissable, [qui] accomplissent la prière et font dépense [en aumônes] sur ce que Nous avons attribué, qui croient à ce qu'on a fait descentre avant toi, [qui] de la vie dernière sont convaincus*»(27)

On ne peut créer des liens que si on est disposé à accepter les opinions et les doctrines des autres.

3. **L'Islam part du principe que l'altérité est la structure fondamentale de la création.** Elle se manifeste dans divers phénomènes et sous de multiples aspects. Dieu dit : «*En vérité, dans la création des cieux et de la terre, [dans] l'opposition de la nuit et du jour, sont certes des signes pour ceux doués d'esprit*».(28) Puis Il ajoute : «*Parmi Ses signes sont la création des cieux et de la terre et la diversité de vos idiomes et de vos couleurs. En vérité, en cela, sont certes des signes pour ceux qui savent*».(29) Dieu confirme cette vérité immuable lorsqu'Il dit : «*Si ton Seigneur avait voulu, Il aurait fait des hommes une communauté unique, alors, qu'ils ne cessent de s'opposer à l'exception de ceux auxquels ton Seigneur a fait miséricorde*».(30)

Cela signifie que Dieu a voulu que sur terre, il y ait des races, des langues, des religions, des cultures et des civilisations multiples et différentes. Le Tout-Puissant confirme ce "vouloir" et l'absence de contrainte qui s'en suit dans ce verset : «*Si Dieu l'avait voulu, tous les êtres de la terre seraient croyants. Pourquoi contrains-tu donc les gens à croire*».(31)

Il est indéniable que ce verset prouve que les êtres humains auraient eu le même niveau de perception et le même degré de foi si telle était la volonté de Dieu. Le Prophète (P.S.) ne pouvait, par conséquent, effacer les disparités quoiqu'il eût fait.

---

27 - Sourate La Génisse, versets 2-3.

28 - Sourate Al-Imrän, verset 190.

29 - Sourate Les Romains, verset 21.

30 - Sourate Hud, verset 118.

31 - Sourate La Génisse, verset 206.

(Amana), responsabilité que n'ont pas osé endosser les autres créatures: «*Nous avons proposé la amana (le dépôt dont la charge a été confiée à l'homme), aux cieux, à la terre et aux montagnes. Ils ont tous refusé de s'en charger et s'en sont effrayés, alors que l'homme s'en est chargé.*»(22) L'être humain fut gratifié dès la création de la terre; à ce propos, Dieu dit: «*Quand ton Seigneur dit aux anges: - Je veux créer un mortel d'argile et quand Je l'aurai harmonieusement façonné et que J'aurai en lui insufflé de Mon esprit, tombez devant lui prosternés.*»(23) Il eut tôt fait ensuite de la pourvoir du savoir qui lui permette de se réaliser selon la volonté divine. Dieu dit à ce sujet: «*Et le Seigneur apprit à Adam tous les noms...*».(24)

2. Excluant le racisme, le chauvinisme culturel et le régionalisme, **l'Islam appelle à la coexistence** et à l'échange dans l'égalité la plus totale. Nul n'a donc de privilège par rapport à l'autre si ce n'est par la piété. Le Tout-Puissant dit: «*Hommes! Nous vous avons créés [à partir] d'un mâle et d'une femelle et Nous vous avons constitués en confédérations et en tribus pour que vous vous connaissiez. Le plus noble d'entre vous, aux yeux de Dieu, est [néanmoins] le plus pieux.*».(25) Le terme arabe "Taqwa" (i.e. piété) signifie littéralement demande de protection et d'immunité contre le mal. L'un des premiers versets coraniques, à savoir : «*ALM. Cette Ecriture - nul doute à son endroit - est direction pour les pieux*»,(26) fait éloge des personnes possédant cet attribut et montre clairement que le Livre révélé à notre Prophète Mohammad (P.S.) est le guide de ceux qui recherchent la bonne direction.

Les deux versets qui suivent montrent que ces personnes pieuses sont généreuses, observent les prescriptions de l'Islam et croient en le secret divin ainsi qu'en la révélation, en l'au-delà et au Jugement Dernier.

---

22 - Sourate Les Factions, verset 72.

23 - Sourate Sad, versets 70-71.

24 - Sourate La Génisse, verset 30.

25 - Sourate Les Appartements, verset 13.

26 - Sourate La Génisse, verset 1.

car la religion constitue une relation entre le seul être et son Créateur, indépendamment de tout, avec ce que cela comporte comme obéissance, soumission et réflexion.

L'Islam s'adresse tant à l'individu qu'au groupe, l'individu étant à la fois destinataire du message et moyen de parvenir au groupe.[20] En outre, l'individualité en Islam est synonyme de personnalité aux plans psychologique et philosophique, et renvoie, au niveau sociologique, au sens d'individu en tant qu'unité constitutive du groupe social.

Il va sans dire que cette religion se rapporte à un être digne de vivre en société et non pas à une personne égocentrique. C'est la raison pour laquelle l'Islam porte à l'individu un intérêt tout particulier qui consiste à le doter d'une éducation propre à l'habiliter à exercer ses pleins droits à la liberté, à l'égalité et à la dignité, et à assumer ses responsabilités propres au sein de la société à laquelle il appartient.

C'est donc en inculquant à l'individu une formation adéquate qu'on arrive à organiser une société saine, c'est-à-dire tolérante et à même de vivre en symbiose avec les autres sociétés. Cet enseignement découle de trois facteurs :

1. L'Islam, tout d'abord, condamne tout genre de chauvinisme, qu'il soit racial ou religieux du fait même que cette passion naît du refus de l'*autre. En plus, il confère une place de choix à l'être humain. Dieu a dit: «Nous avons certes honoré les fils d'Adam. Nous les avons portés sur la terre et la mer. Nous leur avons attribué des nourritures excellentes et nous les avons placés bien au dessus de beaucoup de ceux que Nous avons créés.»*[21] Dieu a ainsi privilégié l'homme par rapport aux autres créatures en faisant en sorte qu'il assure d'abord sa dignité d'homme. Il l'a en outre doté de la faculté d'acquérir le savoir, d'évoluer et de se civiliser. En lui octroyant le pouvoir sur terre, Il l'a élu afin qu'il garde le "dépôt"

20 - Voir l'étude de l'auteur intitulé : "Tasamuh Al-Islam ma'a al dhat wa al-akhar".

21 - Sourate Le Voyage Nocturne, verset 70.

L'indulgence, l'un des aspects de la bonne conduite en Islam, est donc une caractéristique spécifique de la société prônée par cette religion de la tolérance et de la non-violence vis-à-vis, aussi bien des Musulmans que des non-musulmans, citoyens ou étrangers, étant donné, d'une part, le droit des peuples à disposer d'eux-mêmes, d'autre part, l'impossibilité pour les êtres de coexister en dehors de la tolérance et du droit à la différence, le principe de liberté, considéré comme droit naturel de tout être humain, constituant le fondement de l'ensemble des droits qui touchent de près à la vie de l'individu et du groupe tant au niveau social et politique qu'économique et culturel.(19)

Cependant, la question de l'indulgence, dans cette optique, nécessite un éclaircissement sur le plan de la linguistique arabe. Le mot (tasamuh), en effet, dérivé suivant la formule grammaticale [tafa'ul] (interaction ou action réciproque d'agent et patient) est plus proche du sens du verbe originel en rapport avec le mot (Samâh) qui renvoie à la facilité de caractère et au consentement spontané.

Cela témoigne donc de l'attitude positive du Musulman vis-à-vis de toute autre personne tolérante. **De cette réalité qui constitue la base de la coexistence, il résulte trois aspects :**

- Le premier concerne les Musulmans d'un même Etat;

- Le deuxième, leurs concitoyens non-musulmans;

- Le troisième, les relations entre les différentes sociétés.

Avant de procéder à l'exposé de ces trois aspects, tenons à préciser que l'Islam, tout en étant en corrélation intime avec la constitution des lois et des principes règlementant l'ordre social, concerne l'individu seul,

19 - Voir un exposé de l'auteur intitulé "Tassamuh Al-Islam ma'a al dhat wa al-Akhar" présenté à la 3ème session de l'Université d'été, organisée par le Ministère des Waqf et des Affaires islamiques à Casablanca, les 4-6 Chaaban 1414H/17-19 juin 1994, cet exposé constitue le point de départ de la présente recherhce.

II. C'est la religion de l'équilibre et du juste milieu, Dieu dit: «*Nous avons fait de vous la nation du juste milieu*»[11] le juste milieu étant le bien donc ce qu'il y a de mieux, car il se trouve être entre deux antagonistes haïssables: le laxisme et l'excès de zèle, et c'est ce que le Prophète (P.S.) édicte lorsqu'il dit: "Les meilleures choses sont le juste milieu des choses".[12]

III. C'est la religion de la commodité. Dieu dit: «*Dieu veut vous mettre à votre aise. Il ne veut point de choses difficiles.*»[13]

Le Prophète a dit : «*La religion est commodité. Tous ceux qui la rendent excessivement rigoriste sont vaincus par elle, donc soyez souples, conciliants et réjouissez-vous.*»[14] Puis pour mettre en garde contre l'excès en religion : «*Ne soyez pas excessifs en religion, c'est à cause de cela que d'autres nations avant vous ont péri.*»[15]

IV. C'est une religion qui exhorte à la conduite louable, fondée sur les vertus et la noblesse de caractère. A cet égard, Dieu a dépeint le caractère de Son prophète à travers cette louange : «*Tu es d'une vertu sublime.*»[16] Il mit aussi en valeur l'un de ses traits de caractère à travers le conseil suivant: «*Rends le bien pour le mal, et tu verras ton ennemi se changer en protecteur et ami.*»[17]

Il n'est donc nullement étonnant que le prophète (P.S.) dise: "Je fus envoyé pour parfaire les vertus."[18]

---

11 - Idem, verset 142.

12 - Rapporté par A. Bayhaqui, d'après Kinana.

13 - Sourate La Génisse, verset 184.

14 - Rapporté par Al-Boukhari et Annassaii, d'après Abou Horaïra.

15 - Rapporté par Ahmed et Annassaii et Ibn Maja et Al-Hakem, d'après Ibn Abbass.

16 - Sourate La Plume, verset 4.

17 - Sourate Fussilat, ou "Les Distinctements Séparés", verset 33.

18 - Rapporté par Malik in "Al-Muwatta", Tannwir Al-hawalik, commentaire sur Muwatta Malik, auteur : Jalal Eddin Assuyuti, t. 3, p. 97, édition Dar Al Kutub Al 'Ilmiya, Beyrouth, Liban.

«Dis: - *Moi, mon Seigneur m'a dirigé vers une Voie Droite, religion immuable, religion d'Abraham [qui fut] hanif et ne fut point parmi les associateurs.*(6)

Quant à l'indulgence, c'est un des traits de la tolérance. Etymologiquement, elle signifie générosité et charité, puis elle a englobé par la suite les notions de bienveillance et de civilité dans les relations et le commerce des hommes. Le Prophète (P.S.) a dit : «*La bienveillance mène au bénéfice alors que la malveillance ne produit que perte*»,(7) puis : «*Dieu bénit un homme bienveillant quand il vend, achète et négocie son affaire.*»(8) Un homme demanda un jour au Prophète quelle était la meilleure parmi les bonnes actions, ce à quoi il répondit: «*Croire et avoir foi en Dieu, combattre dans la voie de Dieu et accomplir un pélerinage béni*»; l'homme dit alors : «*Mais c'est excessif, ô envoyé de Dieu*». A quoi, il lui fut répliqué : «*Alors donc, prononcer une parole bienveillante, faire un repas en aumône, être indulgent et bien se conduire*».(9)

Cette indulgence est en rapport avec divers facteurs qui révèlent la véritable figure de l'Islam et dont les traits les plus saillants se présentent comme suit :

I. C'est la religion de la disposition naturelle, c'est-à-dire qu'elle est en harmonie avec la nature de l'être humain et ses prédispositions à l'assimiler et à l'embrasser; Dieu dit: «*Acquitte-toi du culte en (Hanif), selon la conception originelle qu'Allah a donné aux hommes! Nulle modification à la création d'Allah! C'est la religion immuable, mais la plupart ne savent point.*»(10)

---

6 - Sourate Les Troupeaux, verset 162-163.

7 - Rapporté par Al Qadaii, d'après Ibn Amr et Daylami, d'après Abou Huraïra. Voir Kachf Al-Khafa, de Al-Ajlouni, T : 1, p. 456, éd. Maktabat Al-Quodsi, 1351 de l'Hégire.

8 - Rapporté par Al-Boukhari et Ibn Maja, d'après Jabir.

9 - Hadith rapporté par Ibn Hanbal dans son "Musnad", d'après Amr Ibn Al-Ass.

10 - Sourate Les Romains, verset 29.

Cette foi (Hanafia) a été mentionnée dans plusieurs versets coraniques. Nous présentons, à titre d'exemple, l'ordre enjoint par Dieu Tout Puissant à Son Envoyé et aux Musulmans de prendre nettement position contre les gens du Livre, reconnus intolérants, tout en proclamant leur foi en toutes les religions révélées et en tous les prophètes : «*Les détenteurs de l'Ecriture ont dit: - Soyez Juifs ou Chrétiens et vous serez dans la bonne direction. Réponds [leur] - Non point! [Suivez la religion d'Abraham, un (hanif) qui ne fut point parmi les associateurs. Dites: - Nous croyons en Allah, à ce qu'on a fait descendre vers nous et à ce qu'on a fait descendre vers Abraham, Ismaël, Isaac et les [Douze] tribus, à ce qui a été donné à Moïse et à Jésus, à ce qui a été donné aux prophètes (venant) de leur Seigneur. Nous ne distinguerons point l'un d'entre eux. [Au Seigneur] nous sommes soumis (Muslimine)*».[3]

L'adepte de la vraie foi (Hanif) est cet être sincère, fidèle et intègre qui se soumet à la volonté de Dieu sans tergiversations ni hypocrisie. Comme les Musulmans après la révélation, il prend le prophète Abraham pour modèle et sa religion assemble tous les facteurs de l'unicité. C'est cette attitude même sur laquelle insiste le Coran lorsque Dieu dit dans ce Livre: « *Le Prophète a foi en ce qu'on a fait descendre vers lui et les croyants, tous ont çru en Allah, en Ses anges, en Ses Ecritures et en Ses apôtres. Ils ont dit: "-Nous ne distinguons entre aucun de Ses apôtres.*»[4]

Bien plus, le Coran considère la foi en Abraham, ce prophète de la tolérance et de la bienveillance, comme une confirmation et une preuve de Sa bonne guidance. S'il n'en était pas ainsi, cette foi n'aurait été que source de désaccord et d'hostilité entre les hommes. Dieu dit: «*S'ils croient à cela même à quoi vous croyez, ils sont dans la bonne direction. S'ils [s'en] détournent, ils sont uniquement en désaccord.*»[5] Dieu insiste aussi sur les liens qui unissent la vraie foi et la bonne guidance, Il dit:

3 - Sourate La Génisse II, versets 134-135.

4 - Sourate La Génisse, verset 284.

5 - Sourate La Génisse, verset 136.

valeurs les plus nobles de cette religion, en l'occurrence la tolérance avec tout ce que celle-ci comporte comme liberté et égalité entre les êtres, sans distinction ethnique ou raciale. Ce noble sentiment humain de considération à l'égard de l'autre n'admet aucun égocentrisme, source de tant de confrontations sanglantes dont témoignent amplement les pages de l'histoire, confrontations qui n'ont fait qu'exacerber les oppositions entre les cultures et les religions ainsi que tout ce qui en découle comme facteurs aiguisant les passions chauvines.

L'importance de ces facteurs et les influences qu'ils exercent sur le cours des événements n'est plus à démontrer, cela en dehors même de la vision que puissent avoir les Etats et les peuples de la culture.

S'il est difficile d'imaginer que l'on puisse effacer ces oppositions qui séparent les sociétés les unes des autres, il n'en reste pas moins que la réduction des écarts en vue d'une complémentarité recherchée dans le but de renforcer la coopération et les échanges entre les peuples, est à même de les mener à réaliser leur rapprochement et une certaine solidarité où la diversité devient alors enrichissement et où, même la différence la plus aiguë n'ira pas nécessairement engendrer cette tension qui mène à la confrontation.

Cela dit, je voudrais tout d'abord insister sur le fait que **la tolérance constitue l'une des valeurs fondamentales de l'Islam.** Elle découle de l'indulgence, notion qui n'a pas manqué de marquer de son empreinte tant la doctrine et la législation que le comportement quotidien des Musulmans.

D'ailleurs, le Prophète (P.S.) avait d'ores et déjà mis au grand jour cette conception présentée comme la quintescence de la religion musulmane, à travers le hadith(1): «Je suis envoyé pour révéler la vraie foi (Hanifia)(2) de la tolérance».

---

1 - Une partie d'un hadith rapporté de Ibn Umama par Ibn Hanbal dans son "Musnad".

2 - Hanifia est la religion orthodoxe unitaire et tolérante, celle d'Abraham, et qui avait des adeptes avant la révélation du message islamique à Mohammad.

qui les poussaient à sauvegarder entre eux un certain équilibre en dépit de la forte hostilité doctrinale qui les opposait.

C'est dans ce contexte, plus proche d'un armistice, que la formule "guerre froide" a été employée pour désigner cette période, avec tout ce que l'appellation sous-tend comme manoeuvres, intrigues et manipulations où se confondent guerre et politique et où la guerre revêt plutôt un aspect politique que martial. La cause en est que la guerre d'ores et déjà a pris une nouvelle signification, car elle n'était plus ce moyen par lequel on récupérait un droit spolié ou bien on imposait une certaine légitimité, mais elle était devenue cet instrument par lequel un régime déterminé tente de faire valoir son hégémonie en élargissant ses zones d'influence dans le monde.

Cet instrument ainsi conçu donnait au conflit une apparence de coopération pacifique fondée somme toute sur l'affrontement idéologique et la concurrence économique, scientifique et technique, ceci en dépit d'une course permanente aux armements sophistiqués et dévastateurs.

Malgré l'implosion du bloc de l'Est et sans pour autant changer, le conflit a pris une nouvelle direction en visant cette fois d'autres forces susceptibles de renaître, ou du moins, de récupérer une nouvelle vigueur et un nouveau rôle au plan mondial. Nous voyons alors le bloc vainqueur tenter d'annihiler l'influence que ces forces pourraient exercer en vue de recouvrer la place qu'elles commencent à briguer, surtout que l'expérience historique est là pour nous en affirmer la forte probabilité.

De là, la position prise contre l'Islam et les Musulmans, et qui consiste en une campagne de dénigrement présentant cette religion et ses adeptes comme incapables de coexister avec les autres peuples de la terre, parce que, prétend-on, foncièrement "extrêmistes", "intolérants" et "fanatiques".

Sous cet angle, la présente recherche se propose de rétablir la vérité : savoir que la coexistence à laquelle appelle l'Islam, avec tout ce que cette notion comporte comme significations réelles, permet tout à fait de vivre avec autrui loin de tout conflit et dans le cadre de l'une des

LA COEXISTENCE EN ISLAM

Concept et significations

L'on n'ignore guère **que la notion de coexistence est née, en fait, avec l'apparition des groupements sociaux** et s'est constituée à partir de la conscience qu'ont les êtres humains d'appartenir à la même espèce. Avec son évolution, ce concept prenait un caractère de nécessité de plus en plus aigu dans les agglomérations à mesure qu'elles devenaient plus denses.

Si dans son sémantisme général et selon même sa composition, "co-exister" signifie vivre les uns avec les autres, la conception actuelle veut que cette coexistence vise pour finalité une vie de paix et de cohabitation entre les hommes, et c'est d'ailleurs pourquoi on lui adjoint le plus souvent le qualificatif "pacifique".

Si l'on considère l'expression "*coexistence pacifique*" du point de vue de sa signification et de la linguistique propre, et ce, dans diverses langues, on ne manquera pas d'y relever une certaine mouvance qui oscille entre la recherche de la "*paix*", dans sa signification la plus élémentaire, et la crainte de la "*guerre*", dans son sens originel de confrontation armée.

En fait, ce concept a pris la dimension que nous venons de signaler avec l'apparition des armes nucléaires, au cours de la période qui a suivi les deux dernières guerres mondiales et qui a vu la naissance de deux super-puissances rivalisant pour l'hégémonie tout en recherchant le plus grand nombre d'alliés parmi les autres nations du monde. Ces antagonistes ont néanmoins maintenu des relations diplomatiques et instauré les aspects d'une certaine coopération découlant de leur profond sentiment de la nécessité d'éviter entre eux tout risque d'agression et de confrontation armée, se mettant ainsi à l'abri de la destruction qu'ils pouvaient encourir et garantissant du même coup des intérêts communs

de certaines idées erronées sur l'Islam, lequel fait aujourd'hui l'objet de tentatives visant à dénaturer son image rayonnante, sur plusieurs fronts.

L'Organisation islamique, qui remercie l'auteur pour l'effort louable qu'il a consenti dans l'élaboration de cette étude, a le plaisir de la publier et de la mettre à la disposition des chercheurs des différents pays, dans le cadre de son programme portant sur "la correction des informations erronées publiées sur l'Islam et les Musulmans", tout en espérant qu'elle atteindra l'objectif escompté.

Puisse Allah couronner nos efforts de succès et nous aider à répandre la parole divine et mettre en évidence les traits caractéristiques de notre religion en vue d'assurer nos pas sur le droit chemin.

Le Directeur général

Dr. Abdulaziz Othman Altwaijri

Préface

L'Islam, message d'Allah à l'ensemble de l'humanité, est une religion qui prône la tolérance et incite les gens à coopérer dans les domaines du Bien. Elle prêche la coexistence, la connaissance mutuelle et l'entente entre les peuples de la terre quelles que soient leur race ou leur culture. Le Très-Haut ne dit-Il pas à cet égard : *"Hommes !, Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle et Nous vous avons constitués en confédérations et en tribus, pour que vous vous connaissiez. Le plus noble d'entre vous, aux yeux d'Allah, est le plus pieux. Allah est omniscient et bien informé", et " Parmi ses signes sont la création des cieux et de la terre et la diversité de vos idiomes et de vos couleurs".*

Connaître les cultures des autres nations est une nécessité impérieuse particulièrement à l'époque contemporaine où, quoique les barrières entre les peuples tendent à s'estomper, l'ultime Message divin adressé à tous les hommes n'en demeure pas moins incompris par bon nombre de non-musulmans, en raison de leur méconnaissance de l'Islam, tant au plan religieux et historique que culturel. Il est même des musulmans qui appréhendent mal certains aspects de l'Islam, soit parce que l'effort consenti à leur étude reste insuffisant, soit parce qu'ils se bornent à une lecture superficielle de certains textes isolés et dépouillés de leur contexte historique, omettant, qui plus est, les vecteurs qui les relient à l'esprit de la Charia et à ses nobles objectifs.

L'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture- ISESCO- soucieuse de mettre la culture islamique à la portée des peuples du monde, présente cette étude sur "Le concept de coexistence en Islam", du Dr. Abbas Al-Jirari, professeur à l'Université Mohammed V à Rabat, Royaume du Maroc. Elle entend, par ce faire, favoriser le rapprochement entre les cultures et contribuer à la correction

بسم الله الرحمن الرحيم

Le Concept de Coexistence en Islam

Par

Dr Abbas El Jirari

Traduction de

Mustapha El-Kasri

Publications de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture

- ISESCO- 1417H / 1996

- **Al Mu`jamu Al Kabiir**

Abu Al Qaasim Suleyman Ben Ahmed Al Tabraanii. 1391H/1979AD. C.E. by Hamdii Al Salmii. Iraq : Ministry of Waqf.

- **Al Mawaa`idh wa Al I`tibaar fii Dhikri Al Khutati wa Al 'Aathaar**

Taqiy Ad-Dine Ahmed Ben Ali Al Maqriizii. 1270H. Cairo : Bulaaq.

- **The United Nations Charter**

United Nations Organisation. The International Conference on King Mohammed V : The Leader. Association of Ribaat Al Fath. November 1987.

- **Religions and War**

Institute of Peace and Development Law. Université de Nice at Sophia Antipolis in collaboration with the UNESCO. France : Mame et éd. Universitaires. September 1992.

- **Al Tabaqaat Al Kubraa**

Muhammad Ben Saad Al Hashimii Al Basri. 1376H/1957AD. Beirut : Dar Beirut and Dar Saader.

- **Futuuh Al Buldaan**

Ahmed Ben Yahya Ben Jaber Al Balaadhrii. 1318H. Cairo

- **Alfuruuq**

Shihaab Ad-Dine Abu Al Abbas Al Qiraafii. Beirut : Dar Al Ma`rifa.

- **Kitaab Al Kharaaj**

Abu Yuusuf Ya`quub. 1347H. Egypt : Al Salafiyya.

- **Kashf Al Khafaa wa Muziil Al Albaas `Ammaa 'ishtahara min Al Ahaadiith `ala Alsinat Al Naas**

Ismail Ben Mohammad Al `Ajlounii Al Jiraahii. 1351H. Maktab Al Qudsii

- **Al Mustadrak `Ala Al Sahiihayn**

Abu Abdallah Al Haakim Al Niisaabourii. At its end : **Al Talkhiis** by Al Haafidh Al Dhahbii. Halab : The Bureau of Islamic Publications, Beirut : Muhammad Amiin Damj.

- **Al Muslimuun bayna Waqi`iyyati Al Hayaati Al Mutaghayyirati wa Mithaaliyyati Al Qiyyami Al Diiniyyah**

Abbas Al-Jirari. Majallat Al 'ihyaa'. No. 3, Volume 15. Rabat, Morocco : Raabitat `Ulamaa' Al Maghrib.

- **Al Masnad**

Ahmed Ben Hanbal. Beirut : Al Maktab Al Islaamii and Dar Saader.

- **Al Masnad**

Abu Abdallah Mohammed Ben Yaziid Al Qazwiinii Ibn Maajah. C.E. by Mohammad Fu'aad Abdelbaaqii. Dar 'Ihyaa' Atturaath Al `Arabii.

- **Masnad Al Shihaab**

Abu Abdallah Mohammad Ben Salaamah Al Qudaa`ii. Beirut.

- **Ma`aalim Maghribiyyah**

Abbas Al-Jirari. 1411H/1991AD. Rabat : First Edition

- **Al Thaqaafa Al Islaamiya wa madaa Tafa`ulihaa ma`a Al Thaqaafaat Al 'Ukhraa Maadiyan wa Haadiran**

  Abbas Al-Jirari. 1412H/1991AD. Proceedings of the Conference on "Islamic Culture and Western Culture : Giving and Taking". Publications of the Academy of the Kingdom of Morocco. Conference Series. Meknes : 26-27 Jumaadaa1 1412H/4-5 December 1991AD.

- **Al Jaami`u Al Sahiih**

  Abu Abdallah Mohammad Ben Ismail Al Bukhari. Marginal Notes by Al Sindii. Beirut, Lebanon : Dar Al Ma`rifa.

- **Al Jaami`u Al Sahiih**

  Abu Al Hassan Muslim Ben Al Hajjaaj Al Qushairii Al Niisaabuurii. Beirut, Lebanon : Dar Al Fikr.

- **Al Kharaaj wa Sinaa`atu Al Kitaaba**

  Qudaamah Ben Jaafar. 1981AD. C.E. by Mohammad Hussain Al Zubaidii. Publications of the Ministry of Culture and Information. Iraq : Dar Al Nashr lil Rashiid

- **Al Dhakhira**

  Shihaab Ad-Dine Abu Al Abbas Al Qiraafii. Volume 3, C.E. by Mohammad Bou Khoubza. Dar Al Gharb Al Islaami.

- **Al Sunan**

  Abu Abderrahmane Ben Shou`aib. 1348H/1930AD. Commented by Al Suyuutii, with marginal notes by Al Sindii. Dar Al Fikr : First Edition.

- **Al Sunan Al Kubraa**

  Abu Bakr Ahmed Ben Al Hussain Ben Ali Al Bayhaqii. Dar Al Fikr

- **Al Siyaasa Al Shar`iyah fii Islaahi Al Raa`ii wa Al Ra`iyyah**

  Taqiy Ad-Dine Abu Al Abbas Ahmed Ben Taimiyyah. 1411H/1991AD. C.E. by the Committee of the Revival of Arab Heritage. Dar Al Aafaaq Al Jadida. Morocco : Second Edition.

- **Sahih At-Tirmidhi**

  Muhammad Ben `Iissaa At-Tirmidhi. 1350H/1931AD. Commented by Ibn Al Arabi Al Maalikii. Al Azhar : First Edition.

Bibliography

- The Glorious Qur'an

- The Holy Bible (The Old Testament and the New Testament). The American Bible Society.

- **Al 'Ahkaam Assultania**

Abulhassan Ali Ben Mohammad Almaawardy. 1327H/1909AD. Critical Edition (C.E.) by Mohammad Badr Anna`saanii Al Halabi. Egypt : Al Khaanjii.

- **Al 'Ahkaam Assultania**

Mohammad Ben Hussain Al Faraa' Al Hanbalii. 1403H/1983AD. C.E. by Mohammad Haamid Al Faqi. Beirut : Dar Al Kutub Al `Ilmiyya.

- **Buhuuth Maghribia fii Al Fikr Al Islaamii**

Abbas Al-Jirari. 1406H/1988AD. Rabat : First Edition.

- **Al Bayaan wa Al Tabyiin**

Abu Othmaan Amr Ben Bahr Al Jaahidh. 1380H/1961AD. C.E. by Abdeslam Haaruun.

Abu Jaafar Mohammad Ben Jariir Al Tabari. 1357H/1939AD. Taariikh Al 'Umam wa Al Muluuk. Cairo : Al Istiqaamah.

- **Taariikh Baghdad**

Ahmed Ben Ali Ben Othmaan Al Baghdaadii Al Khatiib. 1349H/1931AD. Egypt.

- **Tasaamuh Al Islaam ma`a Al Dhaat wa Al 'Aakhar**

Abbas Al-Jirari. 14148H/1994AD. A presentation to the Third Session of the Summer University organised by the Ministry of Waqf and Islamic Affairs. Casablanca : 4-5-6 Shaabaane 1414H/17-18-19 January 1994AD.

- **Tanwiir Al Hawaalik 'Ala Sharh Muwatta Mâlik**

Jalaal Ad-Dine Abdurrahmane Assuyuutii. Beirut, Lebanon : Dar Al Kutub Al `Ilmiyya.

already mentioned in the introduction of this paper : "*The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels and His scriptures and His messengers - We make no distinction between any of His messengers - and they say : We hear and we obey. (Grant us) Thy forgiveness, our Lord. Unto Thee is the journeying*"[1].

Our Noble Prophet (PBUH) says : "*My own standing and that of the prophets before me is like the case of the man who built a house and embellished it except for a brick corner, which people started to visit and to like and then ask : have you made this brick corner ? I am the brick corner and I am the last of the prophets*"[2].

The word Islam itself in its larger meaning reflects this comprehensiveness in faith, in the same way as Abraham and Ishmail said after they had built the foundations of the house as in God Almighty's verse : "*Our Lord! And make us submissive unto Thee and of our seed a nation submissive unto Thee, and show us our ways of worship, and relent toward us. Lo! Thou, only Thou, art the Relenting, the Merciful* "[3]. It is well known that it is Abraham who named us Muslims, God Almighty says : "*He hath named you Muslims of old time*"[4].

This general meaning completes the particular meaning which makes Islam, the religion which was revealed by the Prophet Sidna Mohammad (PBUH). **God Almighty speaks the truth when He says : *"This day have I perfected your religion for you and completed My favour unto you, and have chosen for you as religion AL-ISLAM*"**[5].

---

1. Al-Baqarah [The Cow] : 285.
2. It was related by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurayrah.
3. Al-Baqarah [The Cow] : 127.
4. Al-Hajj [The Pilgrimage] : 78.
5. Al-Mâ'idah [The Table Spread] : 4.

What I mean by imitation here is imitation of what the other has, in high consideration of him, and in a forgiving attitude with him. This needs to function in a two-way manner so that it allows giving and taking within the context of the special individual characteristics of each party.

Therefore, we can say that there is neither openness nor dialogue, and consequently there is no coexistence without an individual entity and a special characteristic, i.e. without preserving them. Thus there should be no attempt to give these aspects up, and especially religion, otherwise there is no openness, and no dialogue and no coexistence, but there would be supremacy and tyranny and what they may lead to in terms of dissolution, or unrest and quarrel. This is the case of what the Muslim minorities undergo today in non-Muslim countries and even what some people want to impose within some Muslim countries themselves.

The insistence upon such a **dialogue is based on two points** :

First : In order to increase the extent of understanding that leads to coexistence.

Second : In order to strengthen the belief in God in people's hearts, especially in a time when materialism and its values have permeated and overwhelmed the youth throughout the world.

The reason is that the belief in God is the context of communication and encounter as it is linked to the nature of man, and this is confirmed in God Almighty's verse : "*So set thy purpose (O Muhammad) for religion as a man by nature upright - the nature (framed) of Allah, in which He hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not*"[1].

The reason is also because faith in Islam has a comprehensive meaning which we must understand and advocate, as it is open to dialogue and discussion. God Almighty says in the verse that we have

---

1. Ar-Rûm [The Romans] : 30.

the term *ta`aaruf*[1]. It is possible to say that this term means what is nowadays called **coexistence**, even if the former has a deeper meaning as it contains a cognitional aspect that has a wide semantic dimension, and which goes beyond the single aspect of living together.

Such an acquaintance could not have been achieved had it not been for the forgiveness which is itself one of the distinctive characteristics of Islam. This shows, without any doubt whatsoever, the extent of the capacity of openness which the Upright Religion has; starting from the disregard to the differences of religion, which transcend the mistaken uses which Muslims had to face and which came from non-Muslims, and are still in force.

Any coexistence that is advocated today has to be linked to this openness which has become the feature of the day, after distances have been abbreviated, and civilisations have become closer to each other, economies have become complementary and the cultural gaps have been bridged between the different peoples.

The world has started to undo all aspects of abstruseness and confinement, or, at least, it is striving towards that, so it has started a dialogue with all counterparts, even those who had, in the past, opposed, confronted or even fought Islam. As such, Islam started the dialogue with the heavenly religions, especially with Christianity. It has also started with Judaism, with which this dialogue will certainly last long provided that the Palestinian people recover all their usurped rights, and all occupied Arab territories are freed and also if a comprehensive peace, whose first features are appearing, is achieved.

Openness is a psychological readiness which means in its first and simplest stages the desire to imitate and the capability to do it.

---

1. See the author's contribution "*Ath-Thaqâfah Al-Islâmiyyah wa madâ Tafâ'ulihâ ma'a Ath-Thaqâfât Al-Ukhrâ Madiyan wa Hadiran*" to the Conference organized by the Academy of the Kingdom of Morocco on : "*Ath-Thaqâfah Al-Islâmiyyah bayn Al-Akhdh wa Al-'Atâ*", 4-5 December 1991. (Published as part of the proceedings of the Conference in the publications of the Academy).

If the Muslims have experienced along the latest ages events which have brought with them many negative aspects from which they suffered and are still suffering in their lives and relations, the spirit of forgiving is still alive and living on. And it is thus in spite of the distortions and attempts of destabilisation emanating from the enemies of Islam, and even from some who pretend to be related to it. That spirit of forgiving is in dire need of being rescucitated from all sides within a clean and neat context of mutual trust and a belief in the self and in the other, and through an optimistic outlook on the present and the future. This has to be based also on the assumption that the person who enjoys these qualities is also responsible and has a purpose in life. It is for this purpose that he works for both his own sake and that of humanity in general. His work is inspired from the lasting religious values and the heritage they have engendered and also from the developed modern scientific culture. This person has also to be keen on avoiding defects and errors which mar the present civilisation and on curing the sicknesses that have resulted from its purely materialistic attitude. Humanity in its totality is certainly awaiting to find who to carry this message and spread it, in order to avoid the total annihilation of mankind, its environment and its security.

It is in this context that we should remember the notion of "monotheism"' that has been advocated by the different heavenly religions, and that Islam has adopted and completed. Islam has thus transcended all factors of difference, quarrels and fighting, thanks to its forgiveness and open-mindedness, as well as its outstanding capacity of assimilation and absorption as well as the unification of all its people, even those who are not Muslims. These people look at themselves and at others and to the world around them with a comprehensive and clear look which allows them to coexist within that context of forgiveness and living together and a lasting exchange of giving and taking and of interests. This situation is possible only if we start from a context of multiplicity and variety, and the resulting distinctive characteristics which lead to interaction, unity, integration, and social equality among all human beings. All these characteristics have been epitomised in the Qur'an by

political, military, economic, social or cultural, and has been reflected in the institutions which have regulated their affairs both in times of peace and war. It has also been reflected in the legislation which they have referred to even in their trade relations with others.

This view was comprehensive to the extent that it impressed this civilisation and culture to the greatest degree and led it to its development, on the basis of a co-ordinated dualism which they both could have access to in all their aspects. Such dualism is reflected in such pairings as the invisible and the felt, the spiritual and the material, the religious and the worldly, the individual and the collective, the particular and the general, the useful and the pleasing.

This development could not have progressed, shined and reflected the humanness of the Islamic civilisation and culture, had it not been for a capacity of open-mindedness which transcended all obstacles and hindrances. This capacity resides in its focus on Islam and not on the race of those who adopted it as a religion, while allowing non-Muslims in the spheres of consultation and discussion, and those of giving and taking, no matter when and where and whatever might result therefrom in terms of tribal or regional differences. This capacity also led this civilisation to benefit from variety and diversity, and in a deep-rooted solution for what concerns the self and the other including the issue of tradition and modernism in all their general aspects. It also resides in the stability which results from coexistence and cohabitation on the basis of forgiveness and peace. All this had the deepest influence on the evolution of thought and the improvement of life.

On the basis of this capacity, it was possible for the culture and civilisation created by Islam to interact while preserving a balance which still allowed them to keep all their own bases and highlights. They also kept their particular characteristics whose scope widened and improved as they kept interacting and competing. These interacting aspects did not lose any of their characterising features which they integrated in the comprehensive Islamic melting pot where they coexisted and got synchronised within it.

When one considers this verse carefully, it becomes clear that the meaning of faith refers to accepting all heavenly religions, even though their commandments may relate to past times, which had their specific conditions and contexts. Such a consideration refers to the situation of hegemony in terms of the control and the assessment of all the deviations from their origin, that these religions have undergone. As a result of this assessment one can confirm what has remained from their original state and has not undergone any deviations or falsifications. At the same time, we are led to understand that the violation of the law of Islam is linked to the commandments that the different religions have brought, and which have changed according to the ambient conditions. Islam came and introduced these commandments under new formulations which made them more attractive but without contradicting the essence of those commandments as they are heavenly creeds, based on monotheism. God Almighty says in this context : "*He hath ordained for you that religion which He commended unto Noah, and that which We inspire in thee (Muhammad), and that which We commended unto Abraham and Moses and Jesus, saying : Establish the religion, and be not divided therein*"(1).

If we take this reality as a starting point which represents the essence of the Islamic spirit, then Muslims can aspire to achieve coexistence amongst themselves, and even with the ones who have adopted different religions but who live with them, and also with foreign peoples and nations which have established links and relations and have exchanged with them interests and needs.

Thanks to this understanding of coexistence in both its meanings, Muslims have been enabled to establish modern societies which are advanced in their internal organisation and their external relations. They have also been enabled to establish a civilisation and a culture based on the way Islam views knowledge and life and on their values and components. This has been clear from all their undertakings, be they

---

1. Ash-Shûrâ [Counsel] : 13.

from these those who respect the agreement in the following verse : "*Excepting those of the idolaters with whom ye (Muslims) have a treaty, and who have since abated nothing of your right, nor have supported anyone against you. (As for these), fulfil their treaty to them till their term*"[1]. The issue of the respect of the clauses of agreements and contracts has reached such an extent that the Prophet (PBUH) turned down any idolater who became Muslim without the consent of his legal guardian, in accordance with the clauses of the truce of Al Hudaibiyyah.

This is the real coexistence as Islam has uniquely viewed it. We have tried to highlight its main characteristics in this limited piece of research. It is no wonder that Islam has been the only one to view it as such and to be itself the religion of coexistence, par excellence. Islam is the last religion that has been revealed, so it is God's latest word. Thus, it is the essence and the source that comprises the rest of the heavenly creeds and that covers them. In addition to this, it is a religion which, on the basis of its principles, has established a nation where both Muslims and non-Muslims have lived. This nation itself has enjoyed friendly relations with other nations. This has made and still makes Islam a mission which starts with the oneness of God and ends with the call to unity within which all human beings can live. Such a situation requires justice, equality, freedom, security, happiness and honour without any element of disunity, class differences, sectarianism, chauvinism or apartheid. It is in this context that one can understand God Almighty's statement : "*And unto thee have We revealed the Scripture with the truth, confirming whatever Scripture was before it, and a watcher over it. So judge between them by that which Allah hath revealed, and follow not their desires away from the Truth which hath come unto thee. For each We have appointed a divine law and a traced-out way. Hath Allah willed He could have made you one community. But that He may try you by that which He hath given you (He hath made you as ye are). So vie one with another in good works. Unto Allah ye will all return, and He will then inform you of what wherein ye differ*"[2].

---

1. At Tawbah [Repentance] : 4.
2. Al-Mâ'idah [The Table Spread] : 48

These laws also comprise the aftermath of war including what concerns the prisoners of war, which the Prophet (PBUH) summarises in his noble saying : "*I am the messenger of mercy, but I am also the messenger of fierce battles*"[(1)]. This is an important aspect which has been dealt with quite profusely by the Muslim jurisprudence.

The Righteous Caliphs have followed the same path as that of the Prophet in this domain. The first one of them is Abu Bakr As Saddik who advised Yazid Ben Soufiane, the Commander of the Syrian Army as follows : "*... I would like to give you ten pieces of advice : do not kill a woman, or a child, or an old man, do not cut a fruitful tree, do not destroy a shelter, do not kill a sheep or a camel except for eating it, do not burn or sever any palm trees, do not enslave the defeated and be not a coward*"[(2)].

It is useless to mention that **the Islamic state in times of peace establishes political, economic and social relations with other countries, and has exchange relations which are based on equality, mutual respect,** the preservation of common interests, and the endeavour to make these interests last. This is done on the basis of contracts and agreements upon whose respect the Holy Qur'an insists, as in the following verse : "*Fulfil the covenant of Allah when ye have covenanted, and break not your oaths after the asseveration of them and after ye have made Allah surety over you. Lo! Allah knoweth what ye do*"[(3)]. The agreement lasts as long as none of the agreeing parties violates, and thus rejects it, in the same way as the Prophet (PBUH) did with the idolaters about whom God Almighty said the following : "*Freedom from obligation (is proclaimed) from Allah and His messenger toward those of the idolaters with whom ye made a treaty*"[(4)]. God Almighty has excepted

---

1. It was mentioned by Ibn Sa'ad in his ***Tabaqât*** on the authority of Mujahid. There is another like it in Ibn Hanbal's ***Masnad*** on the authority of Abu Mussa; and also in Tabarani's ***Al-Kabîr***.
2. It was related by Malik on the authority of Yahya Ibn Sa'îd. See ***Tanwîr Al-Hawâlik Sharh 'ala Muwatta' Malik***, by As-Suyuti; Vol. 2, p. 6-7.
3. An-Nahl [The Bee] : 91.
4. At-Tawbah [Repentance] : 1.

fasting. In order to highlight such a value, it will be sufficient to quote God Almighty's following saying : "*O ye who believe! Shall I show you a commerce that will save you from a painful doom ? Ye should believe in Allah and His messenger, and should strive for the cause of Allah with your wealth and your lives. That is better for you, if ye did but know. He will forgive you your sins and bring you into Gardens underneath which rivers flow, and pleasant dwellings in Gardens of Eden. That is the supreme triumph. And (He will give you) another blessing which ye love : help from Allah and present victory. Give good tidings (O Muhammad) to believers*"(1). The Prophet (PBUH) also said : "*The highest of faith in Islam is fighting for the cause of God*"(2). He (PBUH) also said : "*There are two kinds of eyes which are not harmed by hell's fire : one kind is that which has cried from the fear of God and the other is that which has spent the night watching out for the cause of God*"(3). He (PBUH) also said : "*He who stays up one night for the cause of God is like one who has fasted and prayed for one thousand nights*"(4).

In spite of all this, **when the Muslim state is led to war**, such a situation has idealistic and human laws, conditions, regulations, and ethics which govern it. This is clearly stated in the Prophet's (PBUH) : "*Conquer in the name of God, for the cause of God, fight those who do not believe in God;* ***conquer but do not exaggerate or betray, and do not maim or kill an infant***"(5). He (PBUH) also said : "*Go and fight in the name of God and for the cause of God. Fight those who do not believe in God, without betraying them, or exaggerating, or maiming.* ***And do not kill infants or monks***"(6). He (PBUH) also said : "***Do not kill an old weak man, or a small child or a woman***"(7).

---

1. As-Saff [The Ranks] : 10-13.
2. It was related by Ibn Hanbal.
3. It was related by At-Tirmidhi and An-Nissâ'î.
4. It was related by Ibn Majjah.
5. It was related by Ibn Hanbal.
6. It was related by Ibn Hanbal.
7. It was related by Abu Dawud.

which are resorted to in order to secure one's rights and to react to aggression and to save one's honour. The most noble kind of fighting is the fight against one's lustful desires, idiosyncrasies and greed, or as it was called by the Prophet (PBUH) the "higher holy" war when he said : "*We have returned from the lower holy war to the higher holy war. They said : What is the higher holy war ?. He said (PBUH) : The fight of the heart or the fight of the spirit*"(1).

From the point of view of Islam, holy fighting involves the person's heart and tongue, and only after that does it involve one's property and one's self. Holy fighting which calls upon the self is always linked with one's property. God Almighty says : "*Go forth, light-armed and heavy-armed, and strive with your wealth and your lives in the way of Allah!*"(2).

Yet, the first verse which allowed holy fighting linked it with the fight against injustice, as it states : "*Sanction is given unto those who fight because they have been wronged, and Allah is indeed Able to give them victory; those who have been driven from their homes unjustly, only because they said : Our Lord is Allah*"(3). The meaning is implicit in the verse, that is sanction is given to fight. This meaning is confirmed in another verse, in which God Almighty states : "*Warfare is ordained for you, though it is hateful unto you; but it may happen that ye hate a thing which is good for you, and it may happen that ye love a thing which is bad for you. Allah knoweth, ye know not*"(4).

For this reason, Islam has given the utmost importance to holy fighting involving one's self and money. It has also considered this kind of fighting to be better valued than both the major and the minor pilgrimage and all kinds of extra worship, be it in the form of prayers or

---

1. It was reported by Al-Beyhaqi on the authority of Jaber Ibn Abdullah.
2. At-Tawbah [Repentance] : 41.
3. Al-Hajj [The Pilgrimage] : 39-40
4. Al-Baqarah [The Cow] : 216.

sacred values from being violated and for the protection of the individual and group entity from being violated and ridiculed.

If the enemies of Islam have considered the Muslim holy war as a sacred war which arouses terror and fear in the minds and hearts of non-Muslims, the reality of these wars in the Islamic context makes them synonymous with war and fighting with the aim of defending oneself, one's rights and one's religion.

That is why the nation was addressed in such a way as it is a nation (Ummah) with a mission and a purpose. This does not mean that it is a belligerent religion as it was interpreted by some adversary thinkers. There are even some defenders who believe that by making such statements they make Islam look stronger. Even had it been the religion of wars and swords, it would have vanished soon after the end of the heyday of its leading states and would not have stayed alive in the minds of people.

By making such claims, they often compare it to Christianity which has been claimed to be the religion of forgiving and leniency and that it prohibits wars, whereas that is not true and that, like Islam, it resorts to swords in necessity. **Among the sayings of the Christ (peace be upon him) in the Book of Matthew : "*Do not think that I have come in order to cast peace on the earth; I have not come to cast peace but sword*"[1]. He also said in the Book of Luke, as he was asking his companions : "*When I sent you without bags, provision sacks, or shoes, did you need anything ? They replied : No! Then he said to them : Now, however, he who has a bag should take it, and also a provision sack; and he who has not any, should sell a garment and buy himself a sword*"[2].**

Holy fighting in Islam has various dimensions and stages including political activity, the spending of money and such activities

1. Chapter Ten : Verse 34.
2. Chapter Twenty-four : Verses 35-36

behaviour which is a violation of human life which God Almighty has based its *shari'a* (Islamic law) upon knowing each other, forgiveness, coexistence and living together.

Third : Through this *Shari'a*, **Islam considers that the basic attitude of man is his inclination toward peace, and that recourse to war occurs only in absolutely necessary situations.** Evidence for such a position is clear in the Prophet's (PBUH) call to Muslims to avoid wishing for fighting, and to be firm when they are led into fighting. He (PBUH) said : "*Do not wish to fight your enemy and ask for God's forgiveness, if you do encounter him, call the Name of God and be firm*"(1). As such he considers war a violation of peace and thus a crime, as long as there are no particular situations which call for war and which make it fair and legitimate. This is exactly what various modern international treaties agree with. To mention only one of these treaties we can refer to the United Nations Charter, which urges nations to solve their differences through peaceful means, and to avoid the use of violence and threats in order to preserve international peace, security and justice. This is also what makes this charter prohibit war except in situations of legitimate defence as has been defined in Article 51, which stipulates that : "*there is nothing in this Charter that weakens or curtails the natural right of nations, be they individuals or groups, to defend themselves should an armed force attack any one of the members of the United Nations, until the Security Council takes the necessary measures to keep international peace and security.*"

Therefore, Islam **advocates that holy wars should have as a purpose to fight all the situations of the violation of the nature of such law, and to defend its sound values**, starting with legitimate defence concerning the individual, his family and his belongings and also the defence of one's society, nation and creed, in order to preserve one's

1. It was reported by Al-Bukhari and Muslim on the authority of Abu Hurayrah.

"And guard yourselves against a chastisement which cannot fall exclusively on those of you who are wrongdoers"(1). God Almighty also says : *"And obey Allah and His messenger, and dispute not one with another lest ye falter and your strength depart from you"*(2).

One issue that is generally raised in this context and which is most of the time misunderstood is that of the call of Islam for the holy war(3). We would like to raise the following three points in order to clarify this issue :

First : Islam rejects the use of force to convert non-Muslims to Islam. God Almighty says in a verse that we referred to earlier : *"There is no compulsion in religion. The right direction is henceforth distinct from error. And he who rejecteth false deities and believeth in Allah hath grasped a firm handhold which will never break"*(4).

Second : Islam's call for peace does not mean giving in to enmity and tyranny, and letting evil deeds and injustice go unspoken against and giving in to immorality or any such

---

1. Al-Anfâl [Spoils of War] : 25.
2. Al-Anfâl [Spoils of War] : 46.
3. The present author has already dealt with this topic in two research works :
   a. ***Madrasat Muhammad Al-Khamis fi Siyâq Al-Fikr Al-Siyyâssi Al-Maghribî min Khilâli Dhahirati Al-Junuh li As-Silmi*** (Published among the proceedings of the International School on Mohammad V - The king leader - starting page 471. Organized by Ribat Al-Fath Association; 16-20 November 1987. Also published in the book titled ***Ma'alim Maghribiyah***, p. 25. First edition, Rabat, 1411H/1991A.D.).
   b. ***L'Islam : religion de paix et de jihad.*** A contribution of the author to the International Conference held in Nice (France) on 13-14 December 1990, which was organized jointly by the Institute of Law for Peace and Development and UNESCO on : "Religions et Guerre". The proceedings of this Conference were published under this title by : Editions Universitaires et Editions Mame.
4. Al-Baqarah [The Cow] : 256.

Lo! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo! the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct. Lo! Allah is Knower, Aware"(1).

2. It is a principle which confirms that **coexistence must be based on dialogue,** which according to Islam allows the making of acquaintance with each other and the exchange of points of view in order to resolve differences with no recourse to violent confrontations whose aim is to decide on who is the winner and who is the loser. God Almighty says : "*Call unto the way of thy Lord with wisdom and fair exhortation, and reason with them in the better way. Lo! thy Lord is best aware of him who strayeth from His way, and He is Best Aware of those who go aright*"(2). God Almighty also says : "*And argue not with the People of the Scripture unless it be in (a way) that is better, save with such of them as do wrong; and say : We believe in that which hath been revealed unto us and revealed unto you, our God and your God is One, and unto Him we surrender*"(3).

3. It is also a principle which resides in the fact that the **Glorious Qur'an advocates on the necessity to avoid quarrels and fights and what they might lead to in terms of losses.** God Almighty says while mentioning the story of Adam's (May God Bless Him) two sons, when Abel killed his brother Cain, as a result of the jealousy created by the fact that one's gift was accepted but not the other's : "*But (the other's) mind imposed on him the killing of his brother, so he slew him and became one of the losers*"(4). Quarrels and fights lead to strife that may squander everything. This what the following verse refers to :

---

1. Al-Hujurât [The Private Apartments] : 13
2. An-Nahl [The Bee] : 125.
3. Al-'Ankabût [The Spider] : 46.
4. Al-Mâ'idah [The Table Spread] : 30.

imperfection and defect and of being affected by the adversities that affect others like annihilation. God Almighty also summons people to the abode of peace as in His saying : "*And Allah summoneth to the abode of peace, and leadeth whom He will to a straight path*"(1). The meaning is that of the abode of security, stability, and happiness. Some interpreters of the Holy Qur'an explain **the house of peace** as paradise.

We should also add that we invoke peace at the conclusion of every prayer, and we exchange greetings with the same word. The Prophet's (PBUH) exhalted saying states : "*You will not enter paradise until you have faith, and you will not have faith until you love each other. Do you want me to point out to you something that will enable you love each other ? Spread peace amongst you*"(2).

Peace, in the meaning given to it by the True Religion, does not mean giving in or weakness, it means the securing of one's right. It also means the exchange of relations and services on the basis of equality and mutual respect and also on the basis of agreements which are binding to all parties, as will be explained below.

Whoever gives careful consideration to the **Islamic call for peace** will realise that it **has three underlying principles** :

1. **The principle of coexistence** amongst human societies which, in spite of the differences which may characterise their points of view, their components and their interests which may lead to incompatibility, requires models for its own development which should achieve a minimum level allowing these societies to exchange services, needs and the means to fulfil them. Among the most important aspects of these models is the acquaintance with each other which the Glorious Qur'an has mentioned in a verse that we discussed above. The verse says : "*O mankind!*

---

1. Yûnus [Jonah] : 26.
2. It was reported by Muslim on the authority of Abu Hurayrah.

opposition to the foreigner who does not enjoy this citizenship. Evidently, this citizenship can also be acquired through other means, such as birth, lineage, residency and all the other possibilities which are provided for by the citizenship laws in the different countries.

The extent of the coexistence of Muslims with non-Muslims who belong to other societies remains clear in the peaceful relations that they develop, in the friendly relations that they have, in the security that they share, and in the fact that they are against wars. The expression occurs in the Qur'an in several places and with its different derivations. God Almighty says : "*O ye who believe! Come all of you, into submission (unto Him) and follow not the footsteps of the devil. Lo! he is an open enemy for you*"(1). It should be noted here that following the call to join peace by advising against following the steps of Satan means that the opposite of peace, i.e. war, is a suggestion of Satan. God Almighty also says :"*And if they incline to peace, incline thou also to it and trust in Allah*"(2), that is, if they feel an inclination towards peace out of a genuine desire and a true faith.

In order to show the importance of peace in Islam, it is sufficient to know that the term **Islam** itself is derived from it. It means : following God's commands and being faithful to worshipping and serving Him; this is referred to as peace.

Suffice it also to know that Assalam is one of the attributes of God. God Almighty says :"*He is Allah, than whom there is no other God, the Sovereign Lord, the Holy One, Peace, the Keeper of Faith, the Guardian, the Majestic, the Compeller, the Superb. Glorified be Allah from all that they ascribe as partner (unto Him)*"(3). It is quite likely that the use of this name for God resides in the peaceful meaning that we are discussing. It also resides in the fact that God Almighty is free from

---

1. Al-Baqarah [The Cow] : 208.
2. Al-Anfâl [Spoils of War] : 61.
3. Al-Hashr [Exile] : 23.

spiritual element gives him a celestial dimension which allows him to achieve the necessary balance for a true human life with all the necessary values and the individual and group behavioural principles. It also gives all the requirements of a behaviour which preserves the relationship between the individual, the universe and the creator.

Along with innate elements and the spirit, the mind intervenes at the levels of consciousness, feeling, will and intellect in order to guide, plan, execute and monitor man's movements. And this is what gives citizenship its real meaning, i.e. as it is supposed to be in the mind of Muslims and others who live in a Muslim nation.

Allegiance to this country resides in all what it represents in terms of land, faith, history, civilisation, culture, present and future. In other words, this allegiance resides in a set of principles and values which everyone believes in and shares and which imbibes everyone's mind, spirit and psyche. Thus it becomes the engine which incites one to militate and endeavour to develop the society in the direction of progress and evolution. There is no doubt that this is a noble and responsible citizenship which draws its nobility from God's honouring of man as was stated earlier.

Islam provides the non-Muslim in a Muslim society with an integrative presence within which he can preserve all the components of his personality. The first one among these components is the religious element, with all the related rites, rituals and traditions which allow him to express his religious, cultural and psychological characteristics. With these he can also confirm the characteristics of his identity, within the general framework of the characteristics which make up the notion of citizenship. All this allows one to belong to that Muslim society. Belonging to this society also gives one the right to acquire the nationality of the country. It may allow him more than that, since nationality is the legal framework which gives the individual his political identity, and gives him also the citizenship and the membership within the state which has given him the nationality. This individual becomes a member of its people, and he becomes a national or even a patriot in

now, and my hand is with you and my attachement is to you. So may God bless us all. Our tribute will be paid to you, we will assist you, and we will do whatever you want us to do.' Abdurrahman said : 'There is a man above me who has given you his shelter, so go to him and take his permission.' So he went to Suraqah and met him and said the same thing to him. Suraqah said : 'I have accepted that' ... and so Suraqah wrote to Omar Ibn Khattab about all this and he gave him permission and appreciated what he did."[1]

It is in this way that the Muslims lived with people who do not share their religion but with whom they shared social life. They lived in a humane relationship, which is inspired from Islamic principles, and which has no objection to accepting religions which believe in the principle of monotheism. It is also from this principle that this relationship can draw all the elements which relate the nation's parts to each other and which continuously enriches its personality in a firm symbiosis between nation and religion.

Man is the basic element in this humane relationship, in his quality as a set of capabilities and energies, which constitute the features of his humanness. This instils in him the feeling of existence within himself and with the others, and provides him with the possibility to work and to produce, as it also provides him with the means of efficacy and influence.

There is no doubt that among those capabilities and may be among the most important ones, there is what is inherent in man's nature, as he is an individual in a given land where he moves, consciously or unconsciously, and on that basis, he tries to preserve himself and develop his personality.

If the innate nature of man enables him to live on earth with a horizontal and superficial dimension, the spiritual element intervenes to allow man to transcend earthly matters through faith and religion. The

1. ***Tarikh At-Tabarî***, Vol. 3, p. 236.

Prophet (PBUH) : "*I will not seek the help of an idolater*"[1], in response to one who requested from the Prophet to participate in the battle of Badr. The origin of this disfavour is what is understood from the attitude of the Prophet "*that he (PBUH) noticed the impact of Islam on the man; and he, therefore, refused his participation.*"[2] But in situations other than this, the help of non-Muslims is allowed "*because he (PBUH) used the help of People of the Book in his battles against the worshippers of idols.*" [3]

There are events in the history of Muslims which confirmed this interpretation of the Prophet's tradition, as in the case of what happened after Abu Obeydah conquered Antioch and gave its governorship to Habib Ibn Muslimah, who conquered Jurjumah, a city on Allukam, a mountain above Antioch. "*Its inhabitants did not fight him but they hastened to ask for safety and truce. Then a truce was signed on the proviso that they help the Muslims and be as armorers and soldiers on the Allukam Mountain, that they be dispensed from paying the tribute, and that they pass over the loot of those whom they kill from the enemies of the Muslims if they participate in a battle.*"[4]

This is the same as what happened between Captain Abdurrahman Ibn Rabia when he had reached inner parts in Turkey, which was under the rule of king Shahriyar, who was of Persian origin. The latter wrote to him "*and promised him to ensure his safety while visiting him. So he did and they met. Then, Shahriyar said : 'I am in the presence of a wild enemy and that of many nations without any proper genealogy. It does not fit those of noble origin and reason to help such people or to seek their help to fight those with proper ancestors and origins. Those of noble origin are indeed close to other people of noble origin wherever they are. You have defeated my country and my nation; I am, therefore, one of you*

1. It was related by Muslim on the authority of 'Ayeshah in the end of ***Kitâb Al-Jihâd wa As-Siyar***.
2. ***Adh-Dhakhirah***, by Al-Qurâfi, Vol. 3, p. 406.
3. Ibid.
4. ***Futûh Al-Buldân***, by Al-Baladhari, p. 246.

am Jewish." Omar asked : "*What has led you to begging ?*" He said : "*The tribute*". Omar took him by the hand to his house and gave him some charity. Then he wrote to the treasurer and said : "*look at this man and his likes, we have not been fair to him as we made him pay during his youth and then we are still robbing him at his old age. Charity should be available for the poor and the needy and this man is from the poor of the People of the Book. Then he waived the tribute on him and his likes.*"[1]

In this same context, Khalid Ibn Al Walid's letter to the Al Hira family stated the following : "*I have ordered that any old person who has become too weak to work, or has been hit by some catastrophe, or was rich and became poor, and the people of his own religion started to give him charity, then he is waived from the payment of the tribute and is provided for from the Muslim treasury as long as he lives in the house of migrants in a Muslim country.*"[2]

2. **The participation of non-Muslims in the obligations of holy wars and defence,** as long as this is the result of volunteering, as was the case during the time of the Prophet (PBUH), who was never witnessed to have forced a non-Muslim to participate in a war, as he was never witnessed to have prevented non-Muslims from participating with the Muslims in a holy war, except in one particular situation which will be discussed below.

He thus made volunteering essential for the participation of a non-Muslim in the holy war, as the latter's religious feeling might be affected in some cases such as those when the Muslims may have to fight adversaries who happen to have the same religion as his.

If the Muslim legists disfavour the help of non-Muslims to Muslims during holy conquests, based on the following saying of the

---

1. See the book *Al-Kharâj*, by Abu Yussuf, p. 70.
2. Ibid.

those People of the Book who have asked for protection to pay it in the Muslim countries and to be compensated in return for two rights. The first one is that of being left alone and the second one is to have enough protection so that they are sure to be left alone in peace."[1]

It is also well-known that : "... *the tribute is a contract which ensures the preservation of life and the protection of the belongings and honour and all other obligations that ensue from this. This contract is a preserver of lives as Islam is; and God Almighty has subjected all Muslims to all obligations in His contract of faith. In the same way He obligated the protégés to all these conditions in his protection contract. The tribute obligates us to honour some rights that they are entitled to, because they are in our neighbourhood and our protection. They are also in the protection of God Almighty, that of His Messenger (PBUH) and that of the religion of Islam. Whoever harms them, be it with a bad word or slander of the honour of one of them, or any kind of harm or even helps to harm them, will have squandered God Almighty's protection and that of His Messenger (PBUH) and that of the religion of Islam.*"[2]

But the tribute is dropped under one of two circumstances :

1. **Weakness and poverty** : The Muslim jurisprudents (fuqaha) stressed that "*if he is established to be well-off , then you make him pay, but if he is not, he does not pay because the poor are not obligated to pay the tribute.*"[3] It was related that Omar Ibn Khattab was passing by some people's house when a poor man was knocking at their door asking for charity, he was an old and blind man. Omar held him by the arm and asked him : "*Which People of the Book do you belong to ?*" The man answered : "*I*

---

1. ***Al-Ahkâm As-Sultâniyyah***, by Al-Mawardi, pp. 127-128.
2. ***Al-Furûq***, by Shihab Eddin Abi Al-Abbas Al-Qurafi, Vol. 3, pp. 11-14, Beirut : Dar Al-Ma'rifah.
3. ***Adh-Dhakhîrah***, by Al-Qurafi, Vol. 3, p. 454 (authenticated by Muhammad Bukhubza, Dar Al-Gharb Al-Islami).

the non-Muslims who live in Muslim nations, and for whom the tribute is somewhat of a substitute for the protection provided by the Muslims of their belongings, honour, and individual and general liberties. All this ensures for them a respectful life in a Muslim society, and also their protection from the slightest harm which might befall them or which they might encounter, without their own active participation in this protection. In his testament to the succeeding caliph, Omar Ibn Khattab says : "*I advise you to be good to the people of the covenant, to fight in their place and not to impose on them more than they can handle, if they have paid their dues to the believers*"(1); **for it is not necessary to oblige a non-Muslim to risk his life defending a religion - Islam in this case - in which he does not believe, bearing in mind that wars used to be in old times of a religious nature.**

The tribute is mentioned in the Qur'an, where God Almighty says : "*Fight against such of those who have been given the Scripture as believe not in Allah nor the Last Day, and forbid not that which Allah hath forbidden by His messenger, and follow not the religion of truth, until they pay the tribute readily, being brought low*"(2). That is, those who are able to pay it should do so, and this is what is meant by the expression "readily". Such payment is made in return for their submission to the state-system which takes it upon itself to defend them and to safeguard their rights; and also as a token in recognition of this system and their full acceptance and yielding to it, and this is what is meant by "being brought low".

For further clarification of this glorious verse, it is well known that the word meaning **tribute** in Arabic is "*derived from the word meaning recompense. Therefore it is the responsibility of the rulers to obligate*

1. ***Al-Bayan wa At-Tabyîne***, by Al-Jahiz, Vol. 2, p. 46 (authenticated by Abdussalam Harun, 2nd edition, 1380H/1961A.D.). See ***Tarîkh Al-Umam wa Al-Mulûk***, by Ja'afar Muhammad Ibn Jarîr, Vol. 3, p. 265 (Cairo : Al-Istiqamah, 1357H/1939A.D.). See also ***Sahîh Al-Bukharî*** under chapter on Al-Jihâd.

2. At-Tawba [Repentance] : 29.

And if it is necessary to reinforce these pillars in all eras, it seems even more pressing to do so nowadays, because of the misunderstanding of the real meaning of the notion of coexistence, be it for Muslims or for others, and also because of its consequences in terms of negligence in religious matters and straying away from religion in many walks of life, and the deviance in the behaviour of the individuals and groups and all that has resulted from that in terms of the crucial conditions within which both the Muslims and whoever lives with them suffer from, and all this because of internal and external factors. This necessitates that one should start by self-correction and resolving one's problems which should result in the strengthening of the society and all the Muslim societies in their internal structures and to make them capable of facing up to all the challenges and aggressions.

From this point of view, it is clear that the non-Muslims live with the Muslims within Muslim societies, while enjoying total equality, and differ from them only in that they pay the tribute. **They pay this tribute** and in return their safety and security are ensured, and **in exchange of their waiver from observing two obligations that all capable Muslims have to honour** :

1. Paying tithes;
2. Participating in holy wars.

While paying tithes is a duty for Muslims, non-Muslims pay the tribute instead. The tribute is subject to the intervention of the state in terms of its collection or exoneration for those who are liable to pay it without any obligating system. It should be noted, however, that tithes are spent on the poor and the needy and others, without Islam being a condition. Endeed, the non-Muslim may get money from the public treasury if he is poor or needy just like the Muslim as we shall see later.

As to the participation in the holy wars, it is replaced by the tribute for non-Muslims while it is an obligation for Muslims which God has imposed on them to respond to the attacks of the enemy and to defend themselves, their nation and their religion. This is not the case for

required it from the people of Iraq, who were Persian, in a correspondence to their provincial governor. Afterwards, Omar Ibn Khattab accepted it from them, and after him, Othman Ibn Affan also accepted it, and also from the Berbers, who were Magians[1].

Then tolerance resides in the fact that the different creeds were respected and people were given the right to practice their own religions. The extent of the tolerance resides in the practice and application within the society as a whole, on the basis of the Prophet's (PBUH) instructions, as we read in the following Hadith : "*Whoever harms a protégé is my enemy and whoever is my enemy I ignore on the Day of Reckoning*"[2] and : "*Whoever insults a protégé is punished on the Day of Reckoning with a whip of fire*"[3], and further : "*Whoever kills a person of the covenant will not smell a whiff of paradise*"[4]. These instructions have been followed by the Orthodox Caliphs, the commanders of Islamic conquest in all the contracts and agreements they signed[5].

---

1. ***Al-Kharâj wa Sin'at al-Kitâbah***, by Qudamah Ibn Ja'far, p. 225 (authenticated by Muhammad Hossein Az-Zubaydi, publication of the Ministry of Culture and Information, Dar Annashr Arrashid, Iraq, 1981. In addition, it is related in Al-Bukhari and in At-Tirmidhi that the Prophet (PBUH) took the tribute from the magians of Hajar. It is also related in At-Tirmidhi that he (PBUH) took it from the magians of Bahrain; and that Omar took it from the Persians; and that Othman took it from the Persians and the Berbers.
2. It was related by Al-Khatib Al-Baghdadi on the authority of Ibn Mas'ûd.
3. Reported by Al-Bukhari; Muslim; and At-Tirmidhi on the authority of Abu-Hurayrah.
4. It was related by Al-Bukhari; Muslim; and Ibn Majjah on the authority of Omar Ibn Al-'Âss.
5. See detailed contribution of the present author titled "*Istikhlass At-Tassawur Assalîm Limu'amalat Ghayr Al-Muslimin fi Diyâr Al-Islâm*", published within his book ***Buhûth Maghribiyyah fi Al-Fikr Al-Islâmi***, starting page 119, Rabat, 1406H/1988A.D.

non-Muslim citizens dhimmis"[1]. It is well known that Omar Ibn Khattab employed some prisoners from Caesurae in the services of the state. Among the examples during the Ummayyad Dynasty we can mention "Antinaach Arrahaoui" who headed the administration of Alexandria and who used to be referred to in official correspondence as "The Great Secretary"[2].

Fifth : The use of the term "People of the Holy Books" and "Book People"by Islam to refer to non-Muslims who live with Muslims in the same society proves that Muslims recognise the Holy Books and the Messengers upon whom they were revealed. They are also called the people of protection or protégés (**ahl adh-dhimma or dhimmis**), i.e. the people of the covenant, peace and security. This is a name that has a wider meaning than the People of the Holy Books, because it includes the religions of the Holy Books as well as other religions and which were known and recognised, as the Magians, Samaritans and Sabians. It is related that some Muslims told Omar Ibn Khattab about some people who worshipped fire and they were neither Jews, nor Christian nor Peoples of the Holy Books. This caused a problem for Omar. Then Abdurrahman Ben `Auf said : "*I was witness to the Messenger of God when he said 'Deal with them as you deal with the Peoples of the Holy Books*'"[3]. It is also related that the Prophet (PBUH) accepted the tribute (Jizyah) from the Magians of Hajar without allowing the consumption of the meats they had slaughtered or marriage with their women. Then when Khalid Bin Walid was Abu Bakr's Governor, he

---

1. ***Al-Ahkâm As-Sultâniyyah*** by Al-Farra', p. 32. This point of view is shared by Abu Al-Hassan Ali Ibn Muhammad Al-Mawardi in ***Al-Ahkâm As-Sultâniyyah***, pp. 21-22. (Authenticated by Muhammad Badr An-Na'ssani Al-Halabi, Al-Khaneji Editions, Egypt, 1327H/1909A.D.
2. See ***Futûh Al-Buldân*** by Ahmed Ibn Yahya Ibn Jaber Al-Balathiri, p. 142.
3. ***Kitâb Al-Kharâj*** by Abu Yûsuf Yaaqûb Ibn Ibrahîm, p. 74, Edition Salafiyyah, Egypt, 1347H.

before you (lawful for you)"[1]. What is meant here is the food of Jews and Christians including all what they slaughter and what they cook. Originally, all this was not allowed because of the slaughtering rites and other conditions in Islam. Afterwards, God allowed this after they established themselves and after they lived with other peoples. The meaning of this refinement resides in the respect that Islam has for the peoples of the Holy Books, on account that they follow a heavenly religion which requires rites of cleanliness and the avoidance of uncleanness. This does not, in any way, mean allowing Muslims to do what is originally disallowed for Muslims such as the consumption of pork and alcohol.

As to the issue of marriage and the possibility of the Muslim man to marry a woman who has adopted the religion of another Holy Book, it is because his religion recognises hers and allows her to keep it and to observe it freely. The man of the Holy Book can marry a Muslim woman only if he adopts Islam. This is because societies agree that children belong to their father's lineage. Therefore, if this condition is not observed, the child would belong to another religion than that of the innate, that is Islam, because he cannot do otherwise. Muslim society has reached far in achieving coexistence while safeguarding its Islamic pillars.

Fourth : The nomination of non-Muslims to posts of responsibility within a Muslim nation, especially in the political, diplomatic, financial and administrative domains. Both in the remote and near periods of Islamic history there is evidence that non-Muslims used to be and are still in very crucial positions of responsibility and help with the most important decisions. "*It used to be said that it is allowed that a minister*[2] *may be from*

1. Al-Mâ'idah [The Table Spread] : 5.

2. Meaning an executive minister by contrast to a deputy minister.

of the rites of birth and those of marriage and divorce and all other customs. Among the facilities that ensure the freedom of worship these minorities are given the right to establish and organise the supervisory bodies in charge of their religious affairs. These include the justice issues related to family and individual law and the resolution of disputes over contractual situations. All this has been witnessed in the experience of the Islamic nation and it is still being witnessed in its treatment of non-Muslims. It has been stated that "*....if they had disputes over their religion and if they differed in their beliefs no opposition was shown them and their differences were not exposed. If they had a dispute over one of their rights and they went to their governor, they were not prevented from it*"(1). Islam insists upon the freedom of faith and worship without any coercion to interrupt or alter worship, even where the possibilities of pressure were present. Further, if a non-Muslim asks a Muslim to protect him and provide him with security, the Muslim has to accept and to make sure that no harm reaches his protege, until he reaches the place where he feels secure, i.e. his own house or the location of his people. God Almighty says : "*And if one of the idolaters seeketh thy protection (O Muhammad), then protect him so that he may hear the Word of Allah and afterward convey him to his place of safety*"(2).

Third : Allowing marriage with peoples of the Holy Books and the eating of their foods. God Almighty says : "*This day are (all) good things made lawful for you. The food of those who have received the Scripture is lawful for you, and your food is lawful for them. And so are the virtuous women of the believers and the virtuous women of those who received the Scripture*

---

1. ***Al-Ahkâm As-Sultâniyyah***, by Muhammad Ibn Al-Hosseïn Al-Farrâ' Al-Hanbali, p. 160-161 (Authenticated by Muhammad Hamed Al-Faky, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut, 1403H/1983A.D.
2. At-Tawbah [Repentance] : 6.

First : **Warning Muslims against polemising,** especially with the people of the other Holy Books, except in a polite and positive manner. God Almighty says : "*And argue not with the People of the Scripture unless it be in (a way) that is better, save with such of them as do wrong; and say : We believe in that which hath been revealed unto us and revealed unto you; our God and your God is one, and unto Him we surrender*"[1]. This is undoubtedly a rigorous attitude on the basis of the sensitive aspects concerning the issues of faith. These issues have been raised and are still being raised at the level of the Muslim-Christian dialogue[2] especially concerning the notions of idolatry and unbelief and the issue of Christ (peace be upon him). This attitude is not in contradiction with the necessity to spread the word and to continue to transmit it. The same is also true for the necessity to "enjoin right conduct and forbid indecency"as both necessities are considered pillars in the preservation of society and in putting it on the path of development, progress and improvement. Islam, as has already been mentioned, is a religion which concerns the individual as well as the group and endeavours to the setting up of a brotherly and compassionate society where freedom and tolerance prevail and where each member takes it upon himself as his responsibility to develop it and to preserve it.

Second : **Islam also ensures the freedom of worship for non-Muslims of their religion** in its rites and rituals and in its different celebrations and seasons, with the observation of the holidays and fêtes. Non-Muslims are also allowed to establish their own places of worship and to preserve them and ensure their maintenance and their organisation, along with the respect of the traditions and the customs, beginning with the observation

---

1. Al-'Ankabût [The Spider] : 46.

2. The present author was invited to some of such meetings.

freedom of correspondence and all such instances where Islam forbids its violation by spying. In this context, God Almighty warns people against trying to find out about what is not readily apparent in people's personal life and says : "*And spy not, neither backbite one another*"(1).

The most salient aspect of freedom is probably that of **the freedom of speech**. In Islam it is considered as a favour that comes directly after the favour of life. It is through this freedom that God Almighty shows the superiority of man over the creatures which neither speak nor explain. God Almighty says : "*The Beneficent hath made known the Qur'an. He hath created man. He hath taught him utterance*"(2). It is in this context that we can explain how the Glorious Qur'an makes man responsible for speaking the truth and condemning the act of not doing so. God Almighty says : "Confound not truth with falsehood, nor knowingly conceal the truth"(3). It is in this context that one can talk about "enjoining right conduct and forbidding indecency", and Islam has linked it with faith, and has made of it what has given the Islamic community its distinguished stand and superiority. God Almighty says : "*Ye are the best community that hath been raised up for mankind. Ye enjoin right conduct and forbid indecency; and ye believe in Allah*"(4).

As for **the non-Muslim communities, which constitute minorities in the Muslim society**, Islam has shown such an extent of tolerance that allows a coexistence which not only ensures their freedom of faith and worship but also makes of them full-fledged citizens. Such citizens who are very well integrated in this society with all the due freedom and respect and with no feeling of loneliness or marginality. Suffice it in this respect to mention only five aspects :

---

1. Al-Hujurât [The Private Apartments] : 12.
2. Ar-Rahmân [The Beneficent] : 1-4.
3. Al-Baqarah [The Cow] : 42.
4. Al-Imrân [The Family of Imran] : 110.

If Islam advocates freedom, it is because it is a religion of life, which calls upon the person to exert his being by his presence, activity and productivity. This presence is also supposed to be based upon coexistence and characterised by dignity and honour. The primary aspect of this behaviour is connected with the belief in only one God, a phase which liberates man from idolatry in all its aspects, starting from the worship of idols and fetishes through straying into idiosyncrasies and the giving in to the tyranny of money and the exploitation of man by man.

In this way, the freeing of man from believing in more than one deity has led to another level of freedom, that of freeing man from all kinds of domination that might control him and hinder his existence. Islam has thus allowed man to be sheltered from enmity, and tyranny, or anything that might usurp his freedom, or his life, or his religion or deprive him of his belongings, family and all his sacred values. God Almighty explained the importance of security from hunger and fear and its reflection on worship in the following verse from the Glorious Qur'an : "*So let them worship the Lord of this House, Who hath fed them against hunger and hath made them safe from fear*"(1). The Prophet (PBUH) stressed the importance of the psychological and social security of man in the following Hadith : "*Whoever becomes safe in his home and society, and sound of health, who has his daily food, should consider as if he were given the whole world*"(2).

Thus Islam has been a precursor of all constitutions and legislations which mention human rights and which have highlighted its individual and general freedoms. Suffice it to only mention some of the aspects that Islam has called for in this context, as is the case of the protection of shelter about which God Almighty says : "*O ye who believe! Enter not houses other than your own without first announcing your presence and invoking peace upon the folk thereof*"(3). And also the

---

1. Qureysh : 3-4.
2. It was reported by At-Tirmidhi on the authority of 'Ubayd Allah Ibn Mohsen Al-Ansari Al-Khutaymi.
3. An-Nûr [Light] : 27.

There is no doubt that when a person is aware that he is in charge of a responsibility, be it big or small, for which he is accountable before God and about which there is no trickery and for which there is no escaping divine justice, the sense of righteousness and fairness settles in his mind and conscience. When this sense becomes part of the person's spirit, then justice prevails, injustice is eradicated and solidarity is generalised.

Fourth : **That it is established on the basis of freedom which Islam considers an important value**, as it relates to the nature and innate instincts of man. This is what the Caliph Omar Ibn Khattab (may God be pleased with him) expressed in his famous saying : "How can you enslave people, at a time when they are born free". Freedom is one of the basics of human rights and one of the most salient aspects of honouring God. We may even say that the expression of honour, as already stated, is nobler than the expression of "human rights" which has become of current use lately. The term rights connotes that there is taking and fighting, whereas honouring refers to the generous supply of wealth and favours.

The freedom that God Almighty has bestown upon man concerns his faith, work, lodging, correspondence, thinking and his expression, which form his personality and are the focus of his life, and which allow him to be productive. This is also the basis of the strong and united society where the sharpness of the struggle is subdued. The notion of struggle is used here in the sense of competition between opposing factions which try to eliminate and replace each other. This kind of fighting is a common human feature and law, which is almost general. The reason is that Islam has turned that into a competition which the Glorious Qur'an has insisted upon as in the following verse : "*For this let (all) those strive who strive for bliss*"[1].

---

1. Al-Mutaffifun [Defrauding] : 26.

more than just giving charity, especially the charity that is accompanied by boasting and hurting. Charity requires that one looks at the other as he looks at himself in all that one desires or abhors. The Prophet (PBUH), says "*You only have faith when you desire for your brother what you desire for yourself*"(1).

Third : Life in this community presumes that every member thereof is aware that part of the duties in this society are his responsibility. The Prophet (PBUH) says : "*Every one of you is a shepherd and each shepherd is responsible for his herd, the king is responsible for his subjects as the father is responsible for his family, and the woman is responsible for her husband and his children, so everyone of you is a shepherd and each one of you is responsible for his herd*"(2). This responsibility concerns both the outer and inner aspects of life, as well as what the human talks about and what he keeps to himself. This responsibility is subject to liability which necessitates a free, a sound, and a fully aware conscience that takes into account God, the people and the self, through the principles and values which regulate how these accounts are administered and through the relationship of responsibility with good deeds. God Almighty says : "*And say (unto them) : Act! Allah will behold your actions, and (so will) His messenger and the believers, and ye will be brought back to the Knower of the invisible and the visible, and He will tell you what ye used to do*"(3). This is the responsibility which relates to trust that God has made as one of the most important duties of man and which He considers as one of the most important aspects of honouring Him. Giving accounts for this responsibility surpasses all legislations, because the self deals with it, and after people see it, it ends in God Almighty's hand for the final and inescapable but just assessment.

---

1. It was reported by Al-Bukhari in the book titled Al-Iman on the authority of Anas. It was also related by Muslim and Ibn Hanbal.
2. It was reported by Al-Bukhari; Muslim; At-Tirmidhi; and Ibn-Hanbal, on the authority of Ibn Omar.
3. At-Tawbah [Repentance] : 105.

Second : **Islamic society is one of solidarity**, which is an aspect of brotherhood and a corollary thereof. In such societies the individual is under the protection of the group. The group protects his basic rights and protects him from adversity. The Prophet (PBUH) says : "*Muslims are to each other like a building whose different parts hold each other*"[1].

As the members of a society have duties to perform, and if they do not perform them their society will perish, they also have rights which, if not honoured, will also lead to the collapse of that society. If the concern is over the rights of all members of the society, in the case of solidarity particular attention is paid to those of senior citizens and to those of the sick, along with those of the widows, orphans and the poor. In such a situation rights and responsibilities take their natural course in the context of the achievement of a humane environment for the individual and the society. Such an environment includes food, security, justice, morality and faith as well as all the wealth, happiness, freedom, respect and honour that mankind aspires to and whatever else is necessary to make a just and fair living for all.

According to Islam, solidarity within these dimensions is a philosophy of life. It is on its basis that a sound society can be erected, a society that has neither tyrants, nor tyrannised people, nor does it have a man of right as opposed to a man of evil, nor a good doer as opposed to an evil doer, nor those who monopolise wealth as opposed to those in need, nor persons who are fully fed as opposed to those who are hungry.

It is a philosophy that is based on the notion that working for the purpose of earning one's living is one of the means of getting closer to God and attempting to live within the principles of brotherhood and friendliness. This is what makes solidarity mean

---

1. It was reported by Al-Bukhari; Muslim; At-Tirmidhi; An-Nissâ'i; and Ibn Hanbal, on Abu Mussa, and added : "*He entwined his fingers*".

As to the Muslims, their glorious religion commanded them to erect a society based on pillars of tolerance which can be summarised in the following four points :

First : It is based upon love, generosity and brotherhood. These values have been insisted upon in the Glorious Qur'an and the Noble Tradition of the Prophet in several instances. God Almighty says : "*And the believers, men and women, are protecting friends one of another*"(1). In other words, these are brothers on account of religion, who support, back and help each other. God Almighty also says : "*The believers are naught else than brothers*"(2). In other words, there should not be any enmity between them. The use of the privative particle *'innamaa* means that there is no stronger and sturdier kind of brotherhood than this, including that of blood and kinship. God Almighty says : "*Those who entered the city and the faith before them love those who flee unto them for refuge, and find in their breasts no need for that which hath been given them, but prefer (the fugitives) above themselves though poverty become their lot*"(3). This means that they prefer the other and deprive themselves in order to give him, this is what is known as altruism. Its opposite is selfishness, which means preferring oneself over the others. The Prophet (PBUH) explains how the Muslims should exchange love, generosity and help. They should also have compassion for the other in the case of adversity and says : "*The case of the believers in their mutual help and compassion is like the situation of the body when one of its parts aches, the rest of it is subjected to restlessness and fever*"(4).

---

1. At-Tawbah [Repentance] : 71.
2. Al-Hujurât [The Private Apartments] : 10.
3. Al-Hashr [Exile] : 9.
4. It was reported by Al-Bukhari and Muslim on Nu'man Ibn Bashir.

and his followers to emigrate to Al Madinah. But after the conquest of Mekkah and the establishment of Islam therein, our religion considered its adversaries with tolerance, as long as they did not fight it and did not attempt to establish tyranny or injustice and whatever persecution would result therefrom. God Almighty says : "*And fight them until persecution is no more, and religion is for Allah*"[1]. The notion of persecution refers to whatever stands in the way of the call for Islam, which is permanent and continuous, or at least that is the way it should be.

Islam distinguishes in its treatment of its opponents between those who fight Muslims and those who are at peace with them. As to the opponents who are at peace with Muslims, God Almighty says : "*Allah forbiddeth you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that ye should show them kindness and deal justly with them. Lo! Allah loveth the just dealers*"[2]. As to the opponents who actually fight Islam God Almighty says in the following verse : "*Allah forbiddeth you only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out, that ye make friends of them. Whosoever maketh friends of them - (All) such are wrong-doers*"[3].

If we now attempt to consider some of the aspects of the **coexistence** that Islam advocates, we will find that they are reflected across the three component levels that characterise the Islamic society and that polarise its interest :

1- The Muslims who make up this society, be it in totality or just a majority.

2- The non-Muslim minorities who live with them in the same society, when the case arises.

3- The other societies which differ from them.

---

1. Al-Baqarah [The Cow] : 193.
2. Al-Mumtahanah [She Who is to Be Examined] : 8
3. Ibid : 9.

Indeed, the secret in allowing difference is that Islam advocates faith which should be based on observation, contemplation and then choice. At the same time God Almighty has given the opportunity to those who believe and who perform good deeds to reap requital and recompense, as opposed to those who neither believe nor perform good deeds and who should expect all the punishment that should ensue therefrom. It should be understood that when Islam allows freedom of faith, it also leaves the final word to difference about it to God Almighty who says : "*It is your God who arbitrates between them on the Day of Reckoning upon their differences (about religion)*"[1].

In this respect we should construe the verse : "***There is no compulsion in Religion***" to mean that nobody should be made to adopt Islam through the use of force, persecution and intimidation or similar means, because it is a religion that is based on thought and contemplation. Thus, the notion of freedom of faith, in the view of Islam, starts out from the idea that religion is both faith and belief. Any personal and inner feeling has to be based on conviction, inclination and ease. This is because adopting Islam means that one has led and submitted himself to God Almighty.

There are those who may object to this, basing their objection on the Prophet's (PBUH) saying : "*I was ordered to fight people until they declare that there is no God other than Allah and that I am Allah's Messenger. So if they do they will have spared their blood and belongings thanks to their declaration and for the sake of Allah* "[2].

We wish to show that this order was issued to the Prophet (PBUH), to urge him to face the attacks of the idolaters who confronted him and stood in the face of the call of Islam in Mekkah, and forced him

---

1. Al-Baqarah (the Cow) : 113.
2. It was related by Al-Bukhari; Muslim; At-Tirmidhi; An-Nissâ'i; and Ibn Majjah on the authority of Abu-Hurayrah.

and breathed into him of His spirit, then ordered the angels to prostrate to him in honour and respect. God Almighty says : "*When thy Lord said unto the angels : lo! I am about to create a mortal out of mire. And when I have fashioned him and breathed into him of My spirit, then fall down before him prostrate*"(1). Then, soon after that God provided man with the knowledge to allow him to make his life and existence according to the way God willed them to be as the following verse of the Holy Qur'an states : "*And He taught Adam all the names*"(2).

Second : Islam advocates making acquaintance with others. In other words it calls upon people to meet each other, to live together and to give and take whatever is useful according to the needs of each other. Thus it advocates coexistence, with all the giving and taking that it involves and also the lasting mutual influence, avoiding all racial chauvinism, regional discrimination and cultural arrogance. Thus, Islam does not recognise any reason why one may be considered superior to the other, except in faith. God Almighty says : "*O mankind! Lo! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo! the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct*"(3). Best in conduct here refers to asking for preservation and immunity from all the damage and adversities that may befall one. The first verse of the Holy Qur'an that mentions those who are characterised by this quality says : "*Alif. Lam. Mim. This, the Scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off (evil)*"(4), and thus shows that in the Book that was revealed unto our Prophet Muhammad (PBUH) there is advice and guidance leading to the

---

1. Sad : 72-73.
2. Al-Baqarah [The Cow] : 31.
3. Al-Hujurât [The Private Apartments] : 13.
4. Al-Baqarah [The Cow] : 1.

Such attention which is paid to the individual is, by extension, the basis of the attention that the society as a whole enjoys. All that concerns the individual, be it positive or negative, is eventually reflected upon society. Society is nothing but this individual who constitutes the basis and the seed which bears the fruit. As a result, the upbringing of upright individuals is the basis of the constitution of a sound and healthy society. The extent of these individuals spreads little by little in units and families which grow gradually until we reach such a society.

Islam intended such a society to be tolerant with itself and the others and coexisting with them. Such intention has many reasons and motivations which we will summarise in the following three aspects :

First : Islam discredits all kinds of chauvinism, be it racial or religious, because such chauvinism is based on nothing but selfish and idiosyncratic tendencies in the exclusion and lack of respect for others. Islam also insists on the individual being honoured. God Almighty says : "*Verily We have honoured the Children of Adam. We carry them on the land and the sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above of those whom We created with a marked preferment*"(1). God Almighty has honoured the human beings by making them respectful and not lowly. They were preferred over all other creatures and were given a distinct position in this world. God thus gave them faculties to be civilised, to acquire different kinds of knowledge and to achieve development. God also made opportunities for them on earth and intrusted them with responsibilities that were beyond the capability of other creatures. God Almighty says : "*Lo! We offered the trust unto the heavens and the earth and the hills, but they shrank from bearing it and were afraid of it. And man assumed it*"(2). This honour was provided since birth, as God created man from earth

---

1. Al-Isrâ' [The Children of Israel] : 70.
2. Al-Ahzâb [The Clans] : 72.

sense that it advocates the setting up of a legitimate society which has its own legislation, regulations and principles which govern the different matters of its life.

As such, Islam is a religion which concerns at the same time the individual and the society[1]. It takes the individual as a starting point to encompass the group. It looks at individuality in its philosophical and psychological meaning which is synonymous with personality. It also looks at it in its social dimension making of individuality the state of the individual which considers him a component unit amongst all the units which make up society. Individuality is also looked at from the point of view of a unit having its own features and faculties which make it capable of living within that society, and which make it free of all the kinds of behaviour which might lead the individual to be selfish and solitary, considering only his own interests with the exclusion of the others.

It is in this perspective that Islam is concerned with the individual in the utmost manner and that is reflected in several areas, the most important of which are the followings :

First : Allowing him to enjoy his rights in order for him to live freely with the due respect, honour and equality with others.

Second : Intrusting him with a number of duties, which define his role, and make of him a responsible individual within society, who undertakes a number of duties which enable him to gain his rank and importance and above all which make him perform useful duties within that society.

Third : Educating him in such appropriate manner that allows him to benefit from his rights and to perform his duties. Such an education is achieved only through the adequate and complete upbringing which takes into consideration the two factors which make up the individual : his body and his soul.

---

1. See contribution of the present author : "*Muslims between the realism of the changing life and the idealism of the religious values*" in : ***Majallat Al-Ahya'***, n° 3 of the new series (Sequential number : 15).

who live in this society be they Muslims or otherwise, and even those who belong to other societies as they also have their rights, those we refer to today as **human rights**. These rights concern the civil, political, economic, social and cultural aspects of the life of the individual and that of the group. These rights focus on one central aspect which is that of freedom. And as we know, freedom is a natural right for all individuals. These individuals cannot survive without **tolerance**, i.e. without the right to differ.

It still remains that the issue of tolerance examined from this wide perspective needs clarification, albeit from a brief discussion of the morphology of the word tolerance. The word tasaamuh (meaning tolerance) has the same form as that of ta`aayush (meaning coexistence) already referred to, and coined on the basis of the form tafaa`ul. It is closer in meaning to the verb of origin which is that of forgiving, or to the meaning of spontaneous compliance resulting from the tolerance of the religion itself and its call to all Moslems to be tolerant. All this in spite of the fact that we do not discard the form of tafaa`ul which refers to the notion of participating in efficacy and reciprocity. This obviously points to the positive stand of Islam towards mutual forgiving, if the other party is capable of doing so also. This is what makes **the reality of tolerance in Islam and the resulting coexistence thereof point to three dimensions** :

The First is internal to Islam and concerns Muslim society;

the Second is also internal to Islam but concerns the non-Muslims living in a Muslim society;

the Third is external to Islam and concerns the relationships between the Muslim society and the other non-Muslim societies.

Before dealing with these three dimensions, we should point out that Islam - as a religion - considers that religion is a personal matter, on the basis of the fact that it concerns the individual, in that religion is a relationship between the individual and his creator, with all the necessary obedience, awe and contemplation that such a relationship obviously presumes. At the same time, Islam is concerned with societal life in the

overpower whoever wants to make it otherwise, so be guided and be optimistic".[1] He (PBUH) also warns against straying away from ease in religion : "*Beware of exaggerating in religion, those before you who did so only met with ruin*".[2]

Fourth : It is a religion which insists on good behaviour, which should be characterised by civility, gentleness and be based upon good deeds, generosity and high morality. God Almighty gave the following emphatic description of his Messenger (PBUH) : "*And lo! thou art of a tremendous nature*".[3] He also gave him the following advice which rather highlights one of the Prophet's characteristics : "*Repel the evil deed with one which is better, then lo! he between whom and thee there was enmity (will become) as though he was a bosom friend*".[4] It is no surprise that the Prophet (PBUH) says later on : "*I was sent to perfect high morality in people*".[5]

From this behavioural side and all aspects which derive therefrom and which are related to Islam in its whole, the notion of tolerance appears as a distinctive feature which characterises the society which Islam advocates and where people are called upon to coexist. It is a religion of magnanimity, in which there should be neither discomfort nor chauvinism, neither exaggeration nor extremism, neither violence nor terrorism, be it towards oneself or the others.[6] We refer here to all those

---

1. It was related by Al-Bukhari and An-Nissa'i on the authority of Abu Hurayra.
2. It was related by Ahmad; An-Nissa'i; Ibn Majjah; and Al-Hakim on the authority of Ibn Abbas.
3. Al-Qalam [The Pen] : 4.
4. Fussilat : 34.
5. It was related by Malik in the ***Muwatta*** (See : ***Tanwir Al-Hawalik : Sharh 'ala Muwatta' Malik*** by Jalal Ad-Din Abdurrahman As-Suyuti, Vol. 3, p. 97, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, Beirut, Lebanon).
6. See ***Tasamuh al-Islam ma'a adh-Dhat wal Akhar*** (*Tolerance of Islam toward the Self and the Other*), book made by the author to the 3rd Session of the Summer University, organized by the Ministry of Waqf and Islamic Affairs in Casablanca on 4-6 Sha'ban 1414H/17-19 January 1994. (The present research is based on this book.)

an indulgent man when he sells, when he buys and when he is in need".[1] A man asked him once : *"O Prophet of God, which is the best work ?"*, the Prophet (PBUH) replied : *"Belief in God, almsgiving and fighting holy wars for the sake of God and a blessed pilgrimage"*. The man said : *"This is hardly possible to achieve, O Prophet of God"*. The Prophet (PBUH) then replied : *"Addressing others tenderly, generosity, indulgence and treating others nicely".*[2]

This notion of indulgence is attributed to several factors which represent the true face of Islam. The most important amongst these are :

First : It is a natural religion in the sense that it suits the natural predisposition of man and is accessible to his understanding and dedication. God Almighty says : *"So set thy purpose (O Muhammad) for religion as a man by nature upright - the nature (framed) of Allah, in which he hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not".*[3]

Second : It is the religion of moderation. God Almighty says : *"Thus We have appointed you a middle nation..."*[4] Moderation is the best of attitudes. It may be between two extreme attitudes : negligence and exaggeration or disengagement and excitement. And this is exactly what the Prophet (PBUH) means when he states : *"The best stand is the middle one".*[5]

Third : It is the religion of ease. God Almighty says : *"Allah desireth for you ease, He desireth not hardship for you".*[6] And the Prophet (PBUH) says : *"Religion is ease and it will*

---

1. It was related by Al-Bukhari and Ibn Majjah on the authority of Jaber.
2. It was related by Ibn Hanbal in his ***Masnad***, on the authority of Omar Ibn Al'Ass.
3. Ar-Rûm [The Romans] : 30.
4. Al-Baqarah [The Cow] : 143.
5. It was related by Al-Bayhaqi on the authority of Kinanah.
6. Al-Baqarah [The Cow] : 185.

Abraham (PBUH) lived, and which later on became the characteristic of every Muslim on the basis of the fact that Abraham's religion contains the roots of the creed of God's oneness. This is the same point of view that was expressed in the following verse of the Holy Qur'an : "*The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His angels and His scriptures and His messengers - We make no distinction between any of His messengers.*"[1]

The Holy Qur'an considers this tolerant and comprehensive belief a sign of being well guided and a proof thereof. If this is otherwise, then such a belief is only a false appearance leading to ignorance and conflict. God Almighty states : "*And if they believe in the like of that which ye believe, then are they rightly guided. But if they turn away, then are they in schism.*"[2]

The link between divine guidance and Abraham's uprightness occurs in many Qur'anic contexts as in God Almighty's verse : "*Say : Lo! As for me, my Lord hath guided me unto a straight path, a right religion, the community of Abraham, the upright, who was no idolater.*"[3]

As to the adjective "**tolerant**"it is related in Arabic derivation to **magnanimity, indulgence** and **permissibility**. From an etymological point of view it refers to meanings such as generosity, and open-handedness. Then, it acquired the meanings of ease and leniency in interaction with other people and contexts which call for tolerance and generosity. The Prophet (PBUH) says : "*Indulgence reaps benefit and tighthandedness reaps misfortune*".[4] He (PBUH) also says : "*God Bless*

---

1. Al-Baqarah [The Cow] : 285.
2. Ibid, 137.
3. Al-An'âm [Cattle] : 161.
4. It was related by Al-Qudha'i on the authority of Ibn 'Awn and Ad-Daylami on the authority of Abu Hurayra. See comment on this Hadith in ***Kashfal-Khafa*** by Al-Aljouni, Vol. 1, p. 456, Maktabat Al-Qudsi, 1351H.

from the word meaning indulgence. It is an overall feature of Islam which characterises all its aspects of worship, jurisprudence and behaviour.

The Prophet (PBUH) has highlighted the importance of this feature and made it the epitome of Islam when he said : "*I came with the upright and tolerant religion*".[1] And when somebody asked him (PBUH) : "*Which religion is liked most by God ?*", he replied : "*The upright and tolerant religion.*"[2]

As to "the upright religion", it has been mentioned in several verses of the Holy Qur'an, as in God Almighty's command when he orders the Prophet (PBUH) and the Muslims to express their view concerning what some people of the Book allege about Islam, including the chauvinism expressed in their views and defamation of others, and to state that they believe in all the holy Books and the messengers upon whom these books were revealed : "*And they say : Be Jews or Christians, then ye will be rightly guided. Say (unto them, O Muhammad) : Nay, but (we follow) the religion of Abraham, the upright, and he was not of the idolaters. Say (O Muslims) : We believe in Allah and that which is revealed unto us and that which was revealed unto Abraham and Ishmael, and Isaac, and Jacob, and the tribes, and that which Moses and Jesus received, and that which the prophets received from their Lord. We make no distinction between any of them and unto Him we have surrendered.*"[3]

The upright is he who has a sincere inclination towards what is right and who is truthful and obedient to God's command, without wryness or hypocrisy following thus the pattern according to which

---

1. Part of a Hadith related by Ibn Hanbal in his ***Masnad***, on the authority of Abu Imamah.
2. It was related by Ibn Hanbal in his ***Masnad***, on the authority of Ibn Abbass. It was also related, with some difference in the wording, by Al-Bukhari in ***Kitab Al-Imane*** and by At-Tirmidhi in ***Al-Manaqib***.
3. Al-Baqarah [The Cow] : 135-136.

It is from this particular angle that the present monograph attempts to address the reality of the coexistence that Islam calls for, beyond the usual meaning of the term even when it is modified by the attribute **peaceful**. Going beyond this basic meaning, allows us to consider larger meanings. One of such meanings is the possibility of living with one another, outside the context of conflict and within the context of one of the most important values of Islam and one of its distinctive features, i.e. **tolerance** which allows for the full range of freedom that it conveys to all humanity, and equality amongst all, without race or sex distinctions. This attitude also conveys that all inherited enmity should be eradicated, and assumes that all humans look at each other with noble and considerate feelings and that they all aspire to truth and freedom. It also overcomes all the selfishness which might control one's actions. And this is usually the case, as can be witnessed by the bloody events recorded in history, which were greatly influenced by the conflicts arising from cultural factors such as intellectual and religious differences and likewise all the distinctions that thinking and freedom of speech might unfold.

The importance of these issues and their great influence on events and the outbreak of conflicts and wars is obvious, as is the importance of the way peoples and nations look at each other's culture.

If it is impossible to imagine the likelihood of eliminating the conflicts which arise from these factors and the characteristics they provide each society and each group with, therefore it is undoubtful that the reduction of the gap between countries and communities on the basis of complementarity and on the strengthening of communication and exchange will lead to rapprochement or to some kind of solidarity. This will allow the two sides to realise the value of what the other has and the possibility of self-advancement by inspiration from it. This might even lead to mutual attraction and otherwise competing in case there is a big difference, without this leading, however, to tension then to conflict. And this will only be possible through **tolerance**.

From the very start, we would like to insist that **tolerance is a very important value in Islam** and that in Arabic etymology it originates

conventional head on confrontation, which may otherwise lead to mutual destruction. These powers also endeavoured to preserve some degree of balance within the framework of the ideological differences which distinguish the two camps.

In this context, which resembles more to a situation of truce, the expression **cold war** was coined. This expression reveals a sly and tricky situation whereby what is political is almost intertwined with and indistinguishable from what is warlike, and even a situation whereby the political aspects take on a warlike character. The reason is that the notion of war has taken on another semantic dimension, which no longer makes of it a means to secure a legitimate right or to impose a particular legitimacy. War has instead become a means of imposing the supremacy of a particular power, and the expansion of its sphere of influence, through relations which are based on apparent understanding and underlying conflict at the same time. These relations may also be based on conflict, which is expressed through an apparently peaceful interaction, such as ideological confrontation, and economic and technological competition, while at the same time racing to develop modern lethal arms.

In spite of the spontaneous collapse witnessed by the eastern camp, the situation still stands, although it has started to take another orientation the objective of which is to monitor powers whose effectiveness is likely to emerge, or, at least, to recuperate this effectiveness at the international level in order to neutralise it. Otherwise, the purpose from this attitude is at least to stop the influence of these countries before it spreads and before they reach the logically appropriate position amongst the powers of the world. Historical experience can confirm the extent of the occurrence of such a situation.

This is the context of the attitude towards Islam and the Muslims, which consists in the attempt to present Islam and its followers in a distorted manner. Among the characteristics of the distortions that Islam is taxed with we find extremism, intolerance, chauvinism, and the incapability to coexist with others.

FOREWORD

Enshrining the Divine Message addressed to the entire mankind, Islam is a tolerant religion which urges all people to cooperate in the achievement of righteousness, and calls for coexistence, mutual acquaintance and cohesion among all peoples of the globe, regardless of their colour or culture. In this connection, Almighty Allah says : "O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. And God has full knowledge and is well acquainted (with all things)," and "Among His Signs is the creation of the heavens and the earth, and the variations in your languages and your colour."

To be aware of the cultures of other nations is a crucial necessity, particularly in the modern epoch in which, although barriers among peoples have almost vanished, the ultimate Divine Message addressed to the entire mankind is still not within the reach of majority of non-Muslims. Foremost among the reasons underlying this situation is their lack of understanding of the religion, history and culture of Islam. There are even certain Muslims who do not grasp accurately some of these aspects due to an insufficient study of the texts and their exclusive reliance on the apparent meaning of some texts, without due regard for the circumstances of the revelation, or for the axes linking them with the spirit and noble objectives of the lofty Shariah.

As a contribution to raising the other nations' awareness about the Islamic culture, the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization (ISESCO) is pleased to present to readers a study on the concept of coexistence in Islam, written by Dr. Abbas Al-Jirari, Professor at

بسم الله الرحمن الرحيم

ISBN 9981-26-060-6

The Concept of Coexistence in Islam

by

Dr. Abbas Al-Jirari

Translated by

Dr. Abderrafi Benhallam

Publications of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization
- ISESCO- 1417H / 1996